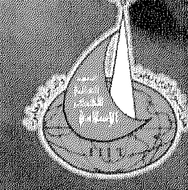
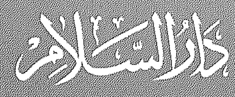


الإنسان بين شريعتين

رؤية قرآنية في معرفة الذات ومعرفة الآخر

تأليف
أ.د. عبد الحميد أحمد أبو سليمان









الإنسان بين شريعتين

رؤية قرآنية في معرفة الذات ومعرفة الآخر

تأليف

أ. د عبد الحميد أحمد أبو سليمان

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر ١٢٠ شارع الأزهر ص ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي : ١١٦٣٩

هاتف ٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٢٧٠٤٢٨٠ (٢٠٢ +) فاكس ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)

e-mail : info@dar-alsalam.com http ://www.dar-alsalam.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن وضوح الرؤية الإسلامية حجر أساس لانطلاق الأمة في الاتجاه الصحيح ، والقرآن الكريم هو المصدر الأساس لاستلهام هذه الرؤية التي دونها لا يمكن للأمة أن تدرك طبيعتها وحقيقة غايتها ، ودون فهم الذات ووضوح الرؤية لا يمكن انطلاق الأمة وانطلاق طاقاتها وإعادة بنائها .

وضوح الرؤية ومعرفة المنطلقات أمر أساس لمعرفة الذات ومعرفة الآخر ، وبالتالي معرفة أسس التعامل الفعال معه .

لقد عانت الأمة كثيرًا من عدم وضوح الرؤية ومعرفة الذات مما أدى وما يزال يؤدي إلى الغبش والتخبط والمتابعة والمحاكاة العمياء للآخر ، مما أورث الأمة ضعف الطاقة ووهن العزيمة .

لقد وجدت نفسي إثر التأملات في كليات الكون من خلال الرؤية الكونية القرآنية أرى الكون والإنسان وعلاقاتهم ،

وموضع الإسلام والأمة منها ، بقدر من الوضوح والتألق والسمو لم يكن يخطر قبل ذلك بالبال ، وبنفس القدر مكنتني هذه الرؤية القرآنية من معرفة الآخر الغربي وطبيعته ومنطلقاته ووجوه الاتفاق والاختلاف معه ، وفَّرت المفتاح المفاهيمي لكثير مما استغلق قبل ذلك في فهمه وسبل التعامل معه .

لذلك لم أملك إلا أن ألتقط القلم لتسطير هذه التأملات ووضعها أمام القارئ الكريم وأمام مفكري الأمة ، لمزيد من التأمل والتعمق في فهم منطلقات الرؤية القرآنية الكونية في هذا المجال الإستراتيجي المهم ، حتى يمكن أن توضع الأمة مجددًا على الجادة ، وحتى يمكن تنقية الثقافة الإسلامية وتفجير طاقتها الحضارية الإصلاحية ، وحتى يمكنها مواجهة تحديات العصر ، وإصلاح مسيرة الإنسانية باتجاه نور الحق والعدل والسلام ، بقوة واقتدار .

دون وضوح الرؤية ، ودون فهم الذات ، ودون تنقية الثقافة ، ودون التوقف عن التقليد والمحاكاة العمياء ، ودون

علاج أبناء الأمة من الأمراض النفسية للانحراف والتخلف ، ودون فهم الآخر الغربي وفهم سبل التعامل الفعال معه ، فإنه لا سبيل إلى التجديد والقدرة والإصلاح واستعادة مكان الأمة في مقعد قيادة الحضارة ، لإصلاحها وترشيد مسيرتها .

إنني أرجو أن ينال هذا الكتاب ، وهذه المحاولة في استلهام القرآن الكريم واستلهام الرؤية القرآنية الكونية ، اهتمامَ المفكرين، وتأملاتهم ، واستبطانها في جهودهم الفكرية الإصلاحية ، حتى يمكن أن تستعيد الأمة عافيتها وتهتدي سبلها ، أداءً للرسالة ، وحملًا للأمانة ، وترشيدًا للإنسان والحضارة .

وبالله التوفيق والسداد .

أ.د عَبْدُالحَمِيدأحْمَدأبُوسُلَيْمَان

١٤٢٣/٧/٢٧هـ

٢٠٠٢/٩/٥م



الإنسان بين شريعتين

رؤية قرآنية في معرفة الذات ومعرفة الآخر

مقدمة : الفلسفة الراشدة يقين متين

يولد الإنسان مزودًا بالعقل والإدراك الذي ميزه اللّه به عن سائر المخلوقات ، وهو ذلك التميز الذي أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة : ٣١] فليس المقصود - فيما أرى هنا - تعليم آدم منطوق أسماء الأشياء ، فذلك مما لا يدل عليه تكوين الإنسان وقدرته كما فطره اللّه ، بل لأن معنى ذلك معرفة أسماء الأشياء التي لم يرها أبونا آدم في حالته الحضارية البدائية [١] إلى أن تقوم الساعة ، وبكل اللغات ، ووقوع ذلك على تلك الهيئة هو أمر ليس له أثر في

(١) نوعية إيمان أبينا آدم وصلته بالله هي قضية وجدانية لا علاقة لها بالقضية الحضارية الثقافية العمرانية المادية ، ومن ذلك أن البدوي البسيط في الصحراء يكون أفضل إيمانًا وأنقى سريرة ووجدانًا من كثير من العلماء المبرزين المستكبرين ، فضلًا عن الملحدين ، في أرقى العواصم الحضارية العمرانية في العالم .

تاريخ الإنسان ولا يوجد عليه دليل محسوس فيما يعرف من طبائع البشر وقدراتهم .

فإذا علمنا أيضًا أن منطوق الاسم لا معنى ولا قيمة له إذا لم يكن هناك وعي بمعناه وبدلالته ، وهو العلم بطبيعة المسمى ، وبكنهه ، وبوظيفته ، بشكل من الأشكال ، فإن المعنى الممكن هنا لابد من أن ينصرف إلى قدرة الإنسان على الإدراك ، وقدرته على تجريد المشتركات التي تضم المفردات ، وردها إلى أصول وأجناس – وهو أمر واضح في أصل خلق آدم حين سُوِّي ونفخت فيه الروح ، فالكراسي أو الدور أو الحيوانات – على سبيل المثال – تتعدد أشكالًا وألوانًا ومظاهر وتراكيب ، ويختلف كل نوع منها عن الآخر ، إلا أنها في مجموعها ترجع إلى تشابهات وأبعاد تضم مفردات بعضها إلى بعض ، وتجعلها في أجناس وأنواع ، فهناك كرسي المكتب ، وكرسي الاستقبال ، وكرسي السيارة ، وهناك الكرسي الكبير ، والكرسي الصغير ، وهناك الكرسي الخشبي ، والكرسي المعدني ، والكرسي

البلاستيكي ، وهناك أشكال وألوان وأحجام من الكراسي ، لكن الذي يجمعها تحت هذا المسمى جميعًا أنها أداة للجلوس والراحة . وقدرة الإنسان على الإدراك والتمييز والتجريد هي أصل قدرة العلم والمعرفة عند الإنسان ، وقدرته على توليد الأفكار والمبتكرات ، وتوليد رموز أسمائها في اللغات الإنسانية المختلفة ، وفي رأيي فإن قدرة الإنسان على الإدراك ، وقدرته اللغوية التي مكنته من إيجاد الرموز وإطلاقها على المسميات ، وهي الأسماء ، وقدرته على استخدامها ، إنما هو أصل قدرة الإنسان الحضارية والعمرانية ، ومن دون قدرة الإنسان على صياغة الرموز واستخدامها لم يكن باستطاعته الكتابة ، ولا تطوير العلوم والمعارف ، ولا الاستخلاف في الأرض ، وإن ذلك هو المقصود بـ (تعليم الأسماء) الذي أشار إليه القرآن الكريم ، وميز اللّه به الإنسان .

ومن ضرورات العقل والإدراك اللذين ميَّز اللّه الإنسان بهما ، وجود ملكة التفكّر والتدبر والبحث والنظر ، وتوليد

الأفكار ، وتصميم إبداعات العمران ، وإتقان الصنعة في حياته ، واتخاذ دليل له في دروب الحياة ، مما يعينه على فهم معنى الحياة ، وتحمل أعبائها ومسئولياتها .

وكان لابد للعقل والإدراك الإنساني - على ما هو عليه من إدراك وتفكُّر من أن يتساءل عن طبيعة ذاته ، وعن معنى وجوده وعالمه والغاية منه ، ويتساءل عن مصدر هذا الوجود وهذا العالم ، وعن معنى مفرداته وعلاقاتها وتفاوتها ، وعن طبيعة علاقاته بها ، وعن مصيره ، ومصير عالمه . وهذا الجانب هو أساس الجانب الروحي في الإنسان ، وهو مصدر الدين الذي يكوِّن جانبًا أساسيًّا من حياته ومن تطلعاته ، ومنه يتأتى هذا التساؤل ، وعنه يصدر هذا البحث الديني الفلسفي والضميري ، فهو يأخذ بتلابيب كل فرد إنساني بشكل أو بآخر ، وهذه القضية هي الإشكال الذي شغل المفكرين والفلاسفة - على مرِّ العصور - في مختلف أبعاده وغيبياته ومعمياته ، وإلى أن يرث اللّٰه الأرض ومن عليها ، وهو الأمر

الذي تعرضت لقضاياه مختلف العقائد والأديان والفلسفات ، وهو ما جاءت بشأنه رسائل الأنبياء ، وبُعِث من أجله بالرسل الهادين المهديين .

لقد كان من الواضح - وما يزال - أن الإنسان - وهو الجزء المحدود بعقله ومنطقه وإدراكه - لا يستطيع أن يدرك الكلي والمطلق وغير المحدود ، فجاءت حاجة الإنسان إلى معالم تضيء له مجهولات دروب الحياة ، وتهديه إلى غاياتها ، وتبعث في نفسه الأمن والطمأنينة ، وتفسر له ، وتعرفه معنى وجوده ، والغاية من هذا الوجود ، ومآل هذا الوجود ، والسبيل إلى التعامل معه وطلب السلامة في مآله ، فكانت الأديان والرسالات والعقائد الغيبية - على مر العصور - في هذا المجال مصدرَ الهداية ، ومنبعَ الأمن والطمأنينة ، للنفس البشرية ، ومصدر طمأنينيتها .

وعلى الرغم من إيمان البشر بما يتوارثونه ويؤمنون به من العقائد والأديان ، فإن العقل الإنساني وما أودعه اللّٰه فيه من

فطرة السعي نحو الفهم والإدراك والمعرفة ، كان لابد له من التساؤل والملاحظة ومحاولة الفهم العقلي حيال كل شيء ، فإلى جانب الإيمان الفطري الوجداني كان البحث العقلي عن مصدر الوجود ، ومعنى الوجود ، وغاية الوجود ، ومصير الوجود ، وهي تساؤلات كانت محلٌ عناية الفلسفة والفلاسفة ، في حدود إدراك العقل ومنطقه .

والفلسفة بهذا المعنى إنما هي تعبير عن فطرة الإدراك المنطقي ، وطلب المعرفة الحسية ، فإذا أدرك الإنسان والمفكر والفيلسوف طبيعة هذه القضية حين تصديه لها ، وأيقن محدودية منطقه وإدراكه الجزئي بشأنها ، فإن بحثه وتفكُّره يكون وسيلة إلى نور الممكن من المعرفة ، وأداة موصلة إلى زيادة الطمأنينة والإيمان ، وعندها لا تكون المعرفة العقلية مناقضةً للمعرفة الإيمانية والطمأنينة الوجدانية .

حاجة العلم إلى الرشد :

لقد كانت المعرفة الرشيدة عند الملائكة مدعاة للإيمان

والطمأنينة ، فهم بحكم ما يعلمون من طبيعة الإنسان الملموسة في طوره الحيواني قبل أن يسويه الله ويضيف إلى تكوينه الروح والعقل والعلم كانوا يتساءلون عن قدراته وصفاته الحيوانية في الإفساد والظلم والعدوان ، فكانت إجابة الخالق صاحب القدرة والعلم الكلي المطلق مدعاةً إلى طمأنتهم وتعزيز إيمانهم وتقبلهم ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٠- ٣٢]

أما إبليس الذي غره علمه الجزئي وأعماه عن محدوديته ومحدودية إدراكه ومنطقه وما أضافه الله إلى طبيعة الإنسان المدمرة الحيوانية – فكان حالُه حالَ ما يُرَى عليه كثيرٌ من جَهَلَةِ « العلماء » الملحدين المستكبرين الذين ظنوا أنهم بقليل علمهم قد ملكوا الحقيقة وأحاطوا بالأسباب ، فكان ذلك سببًا في

ضلالهم وكفرهم واستكبارهم وضلال إبليس من قبلهم وكفره واستكباره : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٧٣ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٤ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ۝٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [ص: ٧١- ٧٦] . ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢، ١٣] فَعِلمُ إبليس بأن مادة خلقه من النار المدمرة ، وأنها نوعٌ أرقى من نوع مادة الطين المنحطة الخامدة التي خُلِقَ منها الإنسان قاده إلى الكبر والمكابرة ، وأعماه عن محدوديته نسبة إلى علم الله المطلق ، وحكمته وقدرته المطلقة ، وجهله بما سيُمَيِّز الله به الإنسان من نور الروح والعقل والإدراك . فهو الله القادر الذي وهب الإنسان الإدراك والمسئولية ، وهو الذي جمع فيه الروح بتساميها إلى جانب الطين بانحطاطه ، فبذلك

العمى والاستكبار والجهل ضلَّ إبليس وكفر .

ولذلك ، فإن العلم الراشد المهتدي مدعاةٌ إلى التفكُّر والتدبر والطمأنينة والإيمان ، وإن تساؤل الفطرة وبحثها وتنقيبها وتدبرها هو السبيل إلى العلمِ الراشدِ وإدراكِ الحدود المؤدية إلى الاقتناع وطمأنينة الإيمان ، وليس صحيحًا أن الجهل وعدم التفكر والتدبر هو السبيل الأفضل إلى الإيمان ، ومن غير المقبول أن يكون البحث والنظر والتفكُّر والتدبر مدعاة إلى الكفر والإلحاد ، فهذا لا يصح إلا في حالة من ضل عن إدراك ذاته ، وغفل عن محدوديتها ، وعمي عن إدراك محدودية علمه ومنطقه تجاه الكلي ، الذي ينطق كل شيءٍ في الوجود دالًّا على عظمته وقدرته ، ودقة خلقه ، وإحكام صنعته ، ولأن الجهل وعدم التفكر والتدبر - على أشكاله المختلفة - إذا أصبح إلغاءً للعقل والتفكر وتوليد الاقتناع ، فإن ذلك في حقيقته رهب وهرب وضعف إيمان ؛ لأن الإيمان صنو الثقة والاقتناع والطمأنينة ، بحسب حال كل نفس وأحوالها ومعارفها

وقدرات إدراكها ، التي تتعلق في نهاية المطاف بإدراك عظمة الخالق ودقة صنعه ولا محدودية قدرته ، إلى جانب محدودية علم الإنسان ومنطقه . وهذا لا يتعارض مع أن ما يقع في دائرة معارف البدوي البسيط ومداركه اليسيرة في صحرائه وباديته ، غير ما يقع في دائرة معارف العلماء والمفكرين في الحواضر ومداركهم ، إلا أنهم كلهم سواء في إدراك محدوديتهم ومحدودية منطقهم ، وفي إدراكهم لعظمة الخلق والخالق .

العلم الراشد مدعاة إلى الإيمان :

ما يزال تقدم العلوم والمعارف في مجال طبائع الكائنات وآفاقها في ازدياد مستمر وتوسع متعاظم ، فهي تفتح كل يوم مجالاتٍ أوسعَ لإدراك عظمة الخلق والخالق ، وما تزال تلك الآفاق تشكِّلُ مجالًا هائلًا للتأمل والتفكر الذي يولد المزيد من الاقتناعات التي تبعث الكثير من الطمأنينة في النفس ، وتعمِّق الإيمان في الذات ، دون أن يغير ذلك الأمر شيئًا من الثوابت المتعلقة بمحدودية الإنسان وإدراكه ومنطقه ، إلى جانب عظمة

الخلق والخالق ، وخيرية غايته .

إن أهم حقيقة في عالم الإنسان هي وجوده ، لكنَّ منطقه الجزئي المحدود يقوده إلى حتمية عدم وجوده أصلًا ، لأنه لا شيء في منطق الإنسان وعالمه يوجد من دون سابق علة وسبب ، ولابد لهذا المنطق من أن ينتهي بالإنسان إلى أنه يجب أن يكون غير موجودٍ أصلًا ، فلا شيء في منطق الإنسان الملموس المحسوس وإدراكه يوجد من لا شيء ، وهذا يعني في منطقه حتمية عدم وجوده ، فلا يوجد حسب منطقه وإدراكه في البدء شيء من لا شيء ، ولا معنى في منطقه وحسه وتجربته وإدراكه لاعتباطية دعوى « أن الوجود وُجِدَ هكذا دائمًا » فالإنسان موجود ، وتلك أول حقيقة وأهم حقيقة يعيها الإنسان ويلمسها في ذاته وكيانه ، ومن الواضح أن في ذلك تعارضًا بين وجود ولا وجود ، والإشكال يكمن هنا لا في الوجود ، إذ هو في حسه حقيقة ، ولذلك لابد من أن تكون علة القصور في محدودية منطق الإنسان ، ومحدودية إدراكه .

فالوجود دون شك لا يخضع لمنطق الإنسان المحدود ، لكنه يخضع لمنطق أعلى من منطقه ، وسوف يدرك ذلك ويعلم أبعاده وأبعاد منطقه - كما أخبر القرآن الكريم - حينما تنتهي رحلة حياته وامتحاناتها ، وحينما ينتقل إلى العالم الأعلى الذي فيه : « مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ »[1] ، ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ

(١) مسند الإمام أحمد ، رقم الحديث (١٠١٧٢) .

جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق: ٥- ٢٢] .

ولتوضيح هذه القضية نضرب مثالًا يقربها من الأذهان ، فنحن نعلم أن مستوى ذكاء القطط أو أي حيوان آخر لن يجعلها قادرة على إدراك المعادلات الرياضية ، وهذا لا يعني أن القطةَ - بوصفها قطةً - غبيةٌ ، كما أن هذا لا يعني أيضًا أن المعادلات الرياضية التي لم تستطع القطط والحيوانات إدراكها لا وجود لها أصلًا ، وإنما كل ما يعنيه هذا الأمر - مقارنة بالإنسان - هو محدودية إدراك القطة أو سائر الحيوانات ، ومحدودية إدراك منطقها بالنسبة إلى إدراك الإنسان ومنطقه - أيًّا كان مستوى هذا الإدراك أو ذلك المنطق ، إذ من المؤكد أن

المعادلات تخضع لإدراك ومنطق أعلى بكثير مما هو موجود لدى الحيوانات والقطط ، وإن إنكار محدودية علم الخلق وحكمتهم نسبة إلى علم الخالق وحكمته ، من قِبَلِ إبليس ، كان من باب الاستكبار القبيح الذي وقع في شراكه إبليس والذي ما يزال يقع فيه بعض البشر من أهل الكِبرِ والإلحاد .

ومن الحقائق التي يعلمها الإنسان ، ويعلمها المستكبرون من « العلماء » قبل سواهم ، أنه كلما اكتشف الإنسان مستوًى أعلى من المنطق رأى في الأمور ذاتها ما لم يره من قبل ، فكثير من حقائق العلم وخواص المواد وطبائعها وطاقاتها وإمكاناتها وما تخبئه من الخصائص والإمكانات قد تغير في البعد الذري الدقيق المستتر نسبيًّا عما كان مقررًا عن بعض الحقائق العلمية قبل ذلك في البعد الحسي اليسير الظاهر ، فلم تعد الجوامد ساكنة خامدة ، بل أصبحت كلُّها في البعد الذري حركةً ، وكلما اشتد جمودُ المادة وكثافتُها وحسُّ خمودها الظاهر أصبحت حركتها الذرية الخافية أشدَّ وأكبرَ ، ولم تعد المادة في

بُعْدِ انفجاراتها الذرية والهيدروجينية « لا تفنى ولا تستحدث » بل أصبحت المادة في هذه الأبعاد « تفنى وتستحدث » ، كما أن ما كان يصعب تصوره من درجات الحرارة المرتفعة جدًّا حتى ولو أشعلنا غابات الأرض مجتمعة ، أصبح ذلك ممكنًا بكمٍّ قليلٍ من المواد المشعة ، وكل هذا وأكثر منه ما هو واردٌ في آفاق العلوم مما يدل على محدودية علم الإنسان ومحدودية منطقه وإدراكه قياسًا بعلم الخالق القادر الحكيم المطلق المتبدي للإنسان في إحكام خلق الكون ، ودقته ، بما لا يستطيع الإنسان معه أن ينكره ، أيًّا كان مستوى علمه ووعيه وإدراكه ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٢- ٥٣] ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣] ولقد فصلت في مقال بعنوان استدراك على ظاهرية ابن حزم (١) الأسباب

(١) مجلة التجديد ، العدد (٢) ص ١٦٦ ، فبراير ١٩٩٨ م ، الجامعة الإسلامية =

الأساسية التي قام عليها – وما يزال – أساس إيماني العميق بأن رسالة الإسلام هي وحيٌ من عند الله ، وكان ذلك في مرحلة مبكرة من حياتي الفكرية على مقاعد الدراسة الثانوية في مكة المكرمة ، مما يوضح نقطة ثبات المنطلقات التي أعانتني دون خوف أو تردد على خوض كثير من القضايا ومراجعتها : تفكرًا ، وتأملًا ، وبحثًا عن الحق والمعرفة .

وبتوفيق الله وحفظه فإنني مع هذا الإيمان الذي يتغلغل في أعماق النفس، ويهدي الفكر ، ويسدد المسير ، ويوجه السلوك، لا أخشى أو أتردد في مواجهة نفسي بما يثور في خلجاتها من تساؤلات ، وما يعصف بخواطري من ملاحظات ، ومهما بلغت حيرة النفس تجاهها ، واستعصى على العقل فهمها وإدراك الحكمة الكامنة وراءها فإن إيماني بالرسالة لا يتغير ، وإدراكَ نفسي لعظمة الخالق ، وإبداع صنعته ، وقدرته وحكمته وحسن تدبيره للخلائق لا يتبدَّل ،

= العالمية في ماليزيا .

وفي الوقت نفسه فإن ذلك يؤكد إدراكي التام لمحدوديتي كإنسان ومحدودية قدرة منطقي وعلمي ، ولذلك فإنني لا أجد في جزئية تساؤلاتي ولا في تدبُّري ولا في حيرتي ما يتعارض مع شمولية إيماني باللّٰه وبالرسالة وبالغيب ، وبذلك لا أجد في التساؤل والبحث والتنقيب - بل وفي الحيرة أحيانًا - إلا وسائلَ لتعميق إيماني وثقتي بالله ، ومزيد من الدواعيَ لترسيخ يقيني بعظيم قدرته وعلمه وحكمته ، وهو - في الوقت نفسه - أمرٌ يؤكد إدراكي لعجزي وجهلي ، ويظهر - بكل تأكيد - محدودية إدراكي ومنطقي .

إن هذا المقال هو رغبة مني في إشراك القارئ في البحث عن إجابة عن أحد هذه الأسئلة والملاحظات الصعبة التي دارت بخلدي واستعصت في البداية كليًّا على إدراكي وفهمي ومنطقي ، وأظنني قد دفعت - بتفكيري وتأملي فيها - إلى تحقيق خطوة أبعد ترضي في النفس فطرة طلب المعرفة والبحث عن الحقيقة بقدر ما وهب اللّٰه من العقل والمنطق والإدراك

وحِسِّ الاستدلال .

القضيـــة :

والسؤال موضع التفكر في هذه المقالة يتعلق بظاهرةٍ استوقفت نظري وتأملي طويلًا ، ولَشَدَّ ما تساءلتُ عن معناها ، وعن الحكمة الكامنة فيها ، وهذه الظاهرة هي ظاهرة دورة الحياة ، حيث يتحتم على بعض الكائنات من أجل أن تبقى وتحافظ على وجودها أن « تعتدي » وأن « تفترس » سواها ، وهو ما يسمى في الفكر الغربي « شريعة الغاب » ، « والبقاء للأصلح » بمعنى « الأقوى » فالكواسر القوية من الحيوانات والدواب على مختلف أجناسها في البر والبحر والجو لابد لها لكي تعيش من أن تفترس سواها من الكائنات ، ولاسيما تلك الكائنات التي هي أضعف منها !! حيث لابد للأسد من أن يفترس بقر الوحش ، ولابد للذئب من أن يفترس الغزال والحَمَل ، ولابد للثعلب من أن يفترس الأرنب ، ولا بد للبازي من أن يفترس اليمام والْحَمَام . وأما الإنسان فحدث

عنه ولا حرج ، فكم ألوف الغزلان والأرانب والحمام واليمام والبقر والخراف والدجاج يفترس منها في حياته ، وكم من بلايين الحيوانات « تفترس » الإنسانية منها كل عام ؟ .

والسؤال هو لماذا يتحتم على كثير من هذه الكائنات بأشكال مختلفة أن تعيش وتبقى على افتراس سواها وإيلامه ؟ وما أثار هذا التساؤل في نفسي من شدةٍ هو تلك الصرخة التي لا أنساها لأرنب مُلِئَتْ رعبًا وألمًا حينما هجم عليه قط وأنشب مخالبه وأنيابه في عنقه ، فأطلق تلك الصرخة المليئة بالرعب والألم ، والأرانب هي تلك الحيوانات الألوفة الخجولة التي لا تكاد تسمع لها صوتًا .

بالطبع سوف يخطر بالبال تلقائيًا تفسير دورة الحياة وضرورة توازن الأنواع ، وما في ذلك من إتقانٍ وصنعة تخدم الإنسان ، وتحفظ الحياة وتديمها ، وهذه حكمة وإتقان مفهومة لنا فيما لو سلمنا بضرورة ألا يكون التوازن إلا بنظام دورة الحياة على الأرض بالترتيب والتنظيم الذي نراه . ولكن السؤال

يتعلق بقدرة اللَّه غير المحدودة الذي لو شاء لأقام نظامًا وترتيبًا آخر يقوم على التوازن والدوام دون افتراسٍ ومعاناةٍ وألمٍ لهذه الكائنات العجماوات .

لم أملك إلا أن ألاحظ وأن أتساءل ؟ ولم يكن من اليسير إدراك المعنى والحكمة الأشمل في ذلك ، وحينما أشركتُ بعض الإخوة في مناقشة تلك الخاطرة ، وتأمُّل تلك الملحوظة ، ومحاولة الإجابة عن ذلك التساؤل الذي دار في نفسي ، فلاحظتُ - عاذرًا لهم - تخوفهم من السؤال والتساؤل عن أمور لا يسهل بحثها ، وتضمنت إجاباتهم التلقائية مقولاتٍ عن أهمية الألم ، بل وعن عذوبته ودوره الضروري في بناء الحياة وطعمها وتشكيلها ، ولكنني بالطبع لم أفهم معنى الألم وضرورته في ما ينال الغزال من الألم بين فكّي ذئبٍ في الصحراء ، والحوت والسمك في ظلمات البحار ، ولو شاء اللَّه جلَّت حكمته لكان غير ذلك .

وأدركت حينها أن تهيب مثل هذه القضية مصدره هو

الخوف من الخلط بين الإيمان من ناحية ، وتساؤلات طلب الفهم والإدراك من ناحية ، وفي رأيي فإنه لا تعارض بينهما لأن الإيمان ينبثق من الكليات والتأملات ، أما التساؤلات فإنها تنبعث من التفاصيل والجزئيات ، فبغض النظر عن نتيجة تساؤلي ومدى اهتدائي إلى معرفة المعنى التفصيلي أو معرفة معنى جزء بعينه عن الحياة والوجود ، فإن ذلك لا يغير من إدراكي ولا من إيماني الكلي بقدرة اللّه وحكمته التي لا يتوجب أن يحيط بها دائمًا إدراكي ومنطقي المحدود ، ولكن ذلك في الوقت نفسه لا يلغي واجبي ورغبتي في النظر والتفكر والتدبر بقدر ما يهديني إليه إدراكي ومنطقي وتفكيري وعقلي ؛ لأن في ذلك معرفة وتبصرة لي ما دام ذلك البحث والتأمل لا يشوبهما الكبر ولا الاستكبار .

وفضلًا عن ذلك فإن التفكر والتدبر هو الذي يهدي الإنسان إلى بلوغ أقصى مداركه ، ويوسع سقف معارفه ، وهو أداته لإدراك الوحي والرسالة وهديها في شئون حياته ومعاشه ،

وإن ذلك لا يعفيه من طلب التحقق ، ومن الفهم السليم ، ويجب أن يكون العقل المهتدي موضع الحرص والثقة والتكامل مع الوحي في فهم الشريعة والتشريع وإعمالهما في شئون الحياة كما أراد اللّه لهما ليكونا نورًا وهداية للعالمين ، أما رفض إعمال العقل المسلم، وعدم الثقة به ، والدعوة إلى المتابعة العمياء ، والتنكر للبحث والنظر وفهم السنن والوقائع ، فهو من قبيل الخلط بين الإيمان والاستكبار ، مما يقود بأسلوب أو بآخر إلى العجز والضلال .

وقد خفف من إحساسي بألم الحيرة والعجز عن إشباع فطرة طلب المعرفة وكشف مستور الحقائق أنني كنت أتصفح في أحد مؤلفات أحد الأئمة الأعلام وأظنه - إن لم تخني الذاكرة - ابن قيم الجوزية فوجدته قد أثار تساؤلًا شبيهًا بهذا التساؤل ، وأجاب عنه إجابة قريبة مما استقر في نفسي ، وهو أن الثقة بقدرة اللّه وحكمته ، ومحدودية إدراكنا البشري ، كل ذلك يجعلنا في النهاية - إذا لم نهتدِ إلى جواب محسوس

أو معقول مقنع - نفوِّض الأمر ونحن على ثقة بحكمة بالغة فيه تخفى عن منطقنا ومداركنا المحدودة القاصرة .

وعلى الرغم من ذلك التخفيف بقي التساؤل قائمًا في النفس دون إجابة أو إدراك معقول مقنع ، وإن كنت أعلم أنني قد لا أهتدي إلى حقيقته ووجه الحق فيه أبدًا ؛ لأنه ربما كان أبعد من قدرة إدراكي وحدود منطقي ، ولكن ذلك - بالطبع - لا يمنع عقلي من المراوحة حوله كلما تعلق الأمر به ، أو دار البحث بشأنه من قريب أو بعيد ، لعله يهتدي فيه إلى جوابٍ أفضل في يومٍ من الأيام .

ماهية الحيوان : حياة طينية لا روح فيها

وللتفكير في أي قضية لابد من نظرٍ في أصولها ، وبمنهج شمولي يحيط بجوانبها ، ويربط بين أطرافها ، ويلقي الضوء على معمياتها .

والمصدر الأساس لفهم الكون والكائنات وكليات وجودها وعلاقاتها يرجع إلى خالقها وبارئها ، وإلى ما أوحى به إلى

الإنسان من أمرها ، ليسخرها ، ويسلك سبلها ، ويقوم بالحق على شأنها .

والقرآن الكريم كلمة اللّٰه ورسالته الخاتمة إلى الإنسان ، هو المرجع والمصدر لفهم الكليات والعلاقات الكونية والغائية ، ولذلك فإن مفتاح التفكر في هذه القضية يكمن في التفكر والتدبر في القرآن الكريم لفهم ما يمكن فهمه من الكليات والغيبيات في حياة الإنسان وكيانه وكونه ، ولذلك فإنني في محاولتي التفكر والتدبر في قضية طبع الحيوان وعلاقاته – وما يتعلق بها من علاقات الإنسان والكائنات بعضها ببعض – رجعت إلى القرآن الكريم مصدر الغيبيات والكليات ، بحثًا عن شيء من الضوء يعين على فهم شيء من طبائع المخلوقات ، وتفسير بعض علاقاتها ، والغاية منها ، ولعل فيما خرجت به من حصيلة هذه المحاولة في كتاب اللّٰه لفهم هذه القضية وسبر غور بعض جوانبها شيء من الفائدة .

فنحن نعلم أن النور والنار والطين في عالمنا هي أحوال

وأشكال مختلفة للطاقة التي لا يبدو أن العلم الإنساني حتى اليوم يدرك كنهها ، ومن الواضح في القرآن الكريم أن النار المدمرة المتأججة أعلى وأرقى درجة وحالةً من الطين الراكد الخامد ، ولذلك استكبر إبليس المخلوق من نار وأبى أن يسجد لآدم المخلوق من طين ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١٢] ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء: ٦١] ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن: ١٤، ١٥] ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٣٣] .

ونجد القرآن الكريم يقرن النار دائمًا بالضرر والعذاب ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٢١] ﴿ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ﴿ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [الرعد: ٣٥]

﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٦٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ١٢] .

وطبيعة النار تتصل بالنور ، إلا أنها في حالة مدمرة ، ولذلك كان إبليس من الملائكة ، وحين عصى وتمرد غلبته الطبيعة التدميرية ونوازع الأذى لديه ، فعصى أمر ربه ، وإن الجن الذين هم من نار كان منهم المؤمنُ المطيعُ ، كما أن منهم العاصي المستكبر .

ولما كانت طبيعةُ إبليس طبيعةً ناريةً مؤذية فإن تلك الطبيعة حين جنحت للعصيان تمردت واستكبرت عن أمر الله ، واتجهت إلى الحقد على الإنسان ، والإضرار به ، وتوعُّده بالأذى ، ودفعه إلى الضلال والخطيئة ، ودفعه إلى الاتجاه الطيني المنحط وما ينجم عن طينيته من أهواء قانون الغاب الحيواني ونوازعه وعنصريته وعدوانيته وشهواته ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ

خَلَقْتَ طِينًا ۝ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ۝ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ... ﴾ ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٦١- ٦٥] ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ... ﴾ ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٣٩- ٤٣].

أما النور - هو خير كله - فنجده صفة من صفات الله ﷻ ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [النور: ٣٥] ونجده صفة للحق والخير والهداية ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ ﴾ [التغابن: ٨] ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ ﴾ [الشورى: ٥٢]، ووصف القرآن القمر المضيء والهادي بأنه نور،

والشمس التي تبث الضياء والدفء - لا الأذى والدمار - بأنها ضياء وبأنها سراج ، لا نار ، نسبة إلى أثرها في حياة الإنسان ؛ لأن الضوء والنور حالة للطاقة تعطي وتفيد دون تدمير ، والسراج نار منيرة تبعث الضوء والنور ، على عكس النار المدمرة ، حتى إن نفعها لا يتأتى إلا من خلال طاقة التدمير والتحويل ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ [يونس : ٥] ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح : ١٦] ﴿ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴾ [الهُمَزة : ٤- ٦] ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴾ [المعارج : ١٥- ١٦] .

أما الروح فهي من عند الله ومن أمره ونوره ، وهي تمثل جانب التسامي والكمال والخير في الإنسان ، وتُنْسَب إلى الله جل شأنه ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾ [السجدة : ٩] ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩] ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ

أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ١٠٢] : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٣] .

ومن الواضح أننا قد أصبحنا أمام كون مكوَّنٍ من ثلاثة عناصر هي : النور – والروح في الإنسان من النور تُرَدُّ إلى اللّٰه سبحانه وتستمد منه – والنار ، والطين :

- فالنور من اللّٰه ، وهو مصدر هداية ونفع للإنسان ، ومنه نُفِخَتْ الروح في الإنسان .
- والنار متأججة مدمرة ، ومنها خُلِقَ إبليس والجان .
- والطين راكد خامد منحط القدر والمقام ، ومنه خُلِقَ جسم الإنسان وجميع دواب الأرض .

فاللّٰه الخالق الهادي سبحانه هو نور السماوات والأرض ، وإبليس الشيطان الشرير من النار المدمرة ، والحيوانات حياة

لاروح لها ، فهي من الطين الحمإ المسنون ، والإنسان هو الكائن الفريد الذي يلتقي فيه نور الروح السامية وحمأة الطين الخامد المنحط .

الإنسان نور وطين : حياة مخلدة

والمهم في بحثنا هنا هو جسم الإنسان المصنوع هو وجميع دواب الأرض من التراب وما لاحظناه في طبع هذه الدواب الطينية المحضة من ضرورة افتراس بعضهم بعضًا من أجل البقاء واستمرار الحياة والحفاظ عليها .

وإذا نظرنا إلى الإنسان وجدناه الكائن الوحيد الذي نفخت فيه الروح ، وهو بذلك الوحيد الذي تلتقي فيه الروح النورانية بالمادة الكثيفة المنحطة الطينية ، وهو أيضًا الكائن الوحيد بين المخلوقات التي تدبُّ على الأرض وُجِّه إليه نورُ وحْيِ الشرائعِ الربانيةِ النورانيةِ لترشيد حياته وهدايته ، على غير شريعة الغاب وقانونها الذي يحكم طبع الحيوان الذي هو مجردُ حياةٍ ونَفْسٌ من نَفَسٍ ، أي هو جسد من طين وحيوان من حياة يميزها

النَّفَس ، ولذلك سُمِّيَتْ نَفْسٌ يشترك بها الحيوان مع الإنسان في الحياة ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [العنكبوت : ٥٧] إلا أن الإنسان يتميز عن الحيوان والشيطان بأن له روحًا ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر : ٢٩] ، والحيوان في الحياة كالإنسان ، فهو جسد من طين له نَفَسٌ وحياة تبقى ما بقيت الحياة ، ولابد للحياة والتنفس من أن ينتهي ، وللجسد من أن يموت ويفنى ، ولكن لا روح له ، ولا إدراك ، ولا ضمير ، وتحكمه شريعة الغاب والطين المنحطة ، حيث « الحق للقوة » ، على غير حال الإنسان الذي تحكمه شريعة النور والروح ، حيث « القوة للحق » ولذلك فإن اللَّه تعالى يقول عن النفس الحيوانية في الإنسان : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف : ٥٣] ويقول سبحانه عن الذات الإنسانية بما فيها من روح وطين : ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾ [البلد : ١٠- ١١] ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان : ٣] ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠- ٤١] فالحيوان

يشترك مع الإنسان في الحياة ، لكنه لا يشترك معه في الروح ، ولذلك كان للذات الإنسانية المزدوجة تكوين وطبيعة وغاية وقانون يختلف كل الاختلاف عن تكوين الحيوان وطبيعته وغايته وقانونه ، وإن اشتركا في شيء منها .

فنحن إذا نظرنا إلى الإنسان وجدنا فيه جانب الإدراك والضمير والتسامي الذي يتعلق بالروح وشريعة النور جنبًا إلى جنب مع الجسد وحاجاته المادية وما يتعلق به من الشهوات والسوءات والعورات التي تنزع بالإنسان إلى الطبيعة الطينية وشريعة الغاب الحيوانية ، فالنفس هنا بمعنى الذات الإنسانية تتكون من عنصرين هما : عنصر الروح النورانية ، وعنصر النَّفْس (بسكون الفاء) من النَّفَس (بفتح الفاء) أي الحياة والجسد الطيني الذي يمثل عنصر الحاجات والنزعات والشهوات الحياتية الطينية ولذلك ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [آل عمران : ١٤] وعلى الإنسان صاحب الروح ترشيد النفس الحيوانية ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ

ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠- ٤١] .

وفي الواقع فإننا لو أمعنا النظر في حياة الإنسان وغاياتها لوجدناها تتعلق دائمًا بالصراع فيما بين تطلعات الروح وأشواقها من القيم والمبادئ ، والجسد المادي الطيني وشهواته وحاجاته وقذاراته ، ما لم تسمُ به قيم الحق والعدل والجمال ، يقول اللّه تعالى في محكم كتابه باسطًا في آيات كثيرة طبيعة هذا الصراع وما تحكمه من غايات ومقاصد وقيم وضوابط : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك : ٢] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ [الانشقاق : ٦] ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس : ٧- ١٠] ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [الإنسان : ٣- ٥] ﴿ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ

نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ [المدثر: ٤٠- ٤٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة ٩٠: ٩١] ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج: ٢٩- ٣٥] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩] ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ

مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢٠، ٢١] ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥] ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ ﴾ [المائدة: ٣٢] ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٨] ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا

ٱلْيَقِينُ ﴾ [المدثر: ٣٨- ٤٧] ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ١- ٧] ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥، ١٦] ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦] ﴿ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [فاطر: ١٨] ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣] .

وهكذا يوضح القرآن وشريعة النور أن الحياة الإنسانية الدنيوية صراع بين الروح والمبادئ والمعاني والقيم من ناحية ، والمادة والهوى والشهوات من ناحية ، حيث يلتقي التوجهان في ذات الإنسان وكينونته - خلال حياته الدنيوية - لقاءً

فريدًا ، وينتهي هذا اللقاء إما إلى سُمُوٍّ وصفاءٍ ونقاءٍ وجنةٍ وخلودٍ أبديٍّ في النعيم ، وإما إلى انحطاط وظلم وباطل وفساد وإحباط وخسران وعذاب وجحيم وشقاء مقيم ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤] ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٧- ٣٠] .

في ظل هذه الصورة وهذا الصراع بين الروح والتسامي ، وبين المادة والطين والانحطاط والشهوات ، يرى المتدبر معنى الصراع المادي ، ومعنى دورة الحياة ، وما تمثله من مظاهر انحطاط الطين ، وما يمثله الصراع من التظالم والافتراس والعدوان ، وما يلحق بذلك الصراع من شرائع الغاب الطينية العدوانية المنحطة ، حيث يطغى جانب القوة على جانب الحق في حياة الدواب وحياة الإنسان الضال ، بصفته مظهرًا من مظاهر الوجود المادي ، وطبيعة الوجود المادي المنحط ، وما يمثل هذا الوجود من صراعات في نفس الإنسان بين الروح

النورانية والحيوانية الطينية المادية ، وبين التسامي والضلال ، وما يجره الضلال من الإخلاد إلى الأرض ، بعكس أشواق الروح وشريعة النور التي ترتقي بالنفس الإنسانية في معارج الحق ومعاني الخير .

كما أن جوهر المادة في انحطاط طبع وجودها يفسر - من بعض الوجوه - معاني رمزية الطهارة المادية والمعنوية الإسلامية ومطالبها في حياة الفرد وممارساته وعباداته ، من طهارةٍ ووضوءٍ وغسلٍ ، ونظافةٍ وستر وزينةٍ ، وذكرٍ وبسملةٍ عند الأكل ، وتكبيرٍ باسم الخالق عند الذبح ، وعدم قتلٍ أو صيدٍ ما لا حاجة للإنسان في قتله أو صيده ، ورعايةِ الدواب والرفق بها ، وجوب المحافظة على سلامة البيئة ، بل لعله يفسر من بعض الوجوه كراهة أو تحريم أكل الحيوانات البرية المفترسة على الإنسان ، والتي تشاركه الأرض ، والمزودة بأدوات الافتراس ، وهي الناب والمخلب ؛ لأن أكلها فيما يبدو يجعل الإنسان ذا طبيعة افتراسية مركبة ، مما يدخله في حلبة

صراعات القوة الحيوانية ، فيما هو أبعد من مجرد الاستجابة للحاجة المعيشية ، ولعل أكل الإنسان للحيوانات المفترسة لسواها من الحيوانات التي تشارك الإنسان اليابسة ، ويتواصل وجوده وكيانه وبيئته الطينية المادية معها ، تجعل أكله لها يؤثر في سلوكه الإنساني وطبيعته البشرية ، ولعل ذلك بعض ما عنته الحكمة القائلة « قل لي ماذا تأكل أقلْ لك مَنْ أنتَ »(١) ،

---

(١) مما يسترعي انتباه المتعمق في الجوانب اللغوية للغة العربية التي اختارها الله لتنزيل القرآن الرسالة السماوية الخاتمة ، والتي قد تستحق أن يمعن علماء فقه اللغة النظر فيها وفي دلالاتها ، وما لاحظته من أن أسماء صفات الأطراف التي تتعلق بالوجود الإنساني فإن أسماء صفاتهم تنتهي جميعًا على نهاياتٍ واحدةٍ هي الألف والنون ، على النحو الآتي :

الله الخالق هو .... الرحمان

إبليس الشرير............................ الشيطان

عوالم الغيب والخفاء في الكون.............. الجان

البهيم الحي المنحط .... الحيوان

ابن آدم الناسي اللاهي .... الإنسان

وما نلاحظه هنا هو أن الملائكة الذين هم ليسوا طرفَ تفاعلٍ بشكل - مباشر أو غير مباشر - في العلاقة ، وإنما هم أدوات تنفيذ لإرادة الله ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦] ليس لهم اسم صفة ينتهي بالألف والنون على غرار =

= ما لاحظناه في باقي الأطراف وعوالم الوجود .

ويمكن الرجوع إلى القرآن الكريم وتتبع ما ورد فيه بشأن الذات الإلهية ، وكيف أن صفة الرحمة الأولى ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣] ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠] وهذا ينطبق على الشيطان وذريته وعوالم الجان والحيوان والإنسان . حيث يتناول القرآن الكريم هذه الكائنات في كثير من آياته بالوصف والبيان .

يقول اللّٰه تعالى عن الحيوان : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨] ﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [النور: ٢١] ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: ٦] ويقول اللّٰه تعالى ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ [الأنعام: ٣٨] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [النحل: ٥] ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ ﴾ [فاطر: ٢٨] وما يلاحظ هنا أن لفظ الحيوان كصفة انحطاط للبهيم لم يذكر في القرآن وإنما ذكر بعض أنواعه النافعة كبهيمة الأنعام وحوت البحر ، أو ذكرت أهم صفاته كالدَّبِّ على الأرض والطيران في السماء .

ويقول اللّٰه سبحانه عن الإنسان وعن صفة النسيان فيه : ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾ [المجادلة: ١٩] ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥] ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٤] ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦] . أما اللّٰه سبحانه فهو منزَّه عن النسيان ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤] .

إلى جانب الأضرار التي بسببها - كما دلت بعض الأبحاث العلمية - أكل آكلات اللحوم .

المادية شريعة الغاب والقهر والتظالم

وهذا المنطلق والتصور يوضح فساد الفلسفة الداروينية الاجتماعية ، التي هي في جوهرها فلسفة مادية ملحدة تنبني على فرضية ساذجة اعتباطية طفولية هي عشوائية الخلق ، ولا ترى في الإنسان إلا أنه حيوانٌ ، أي طينٌ ، خُلِقَ هملًا وتطور وسائر الأحياء تطورًا عشوائيًا ، ولذلك فلا موضع في هذه الفلسفة لسر الخلق الرباني وبُعده الروحي ، ولا لروحانية الإنسان التي تميزه عما سواه من خلائق الأرض بما له من إدراكٍ وروحٍ وضميرٍ ، وغائية الخير في خلق الإنسان وفي ممارسات حياة الإنسان ، وأن معنى الحياة الإنسانية في هذه الدنيا هو هذا اللقاء بين الروح والطين ، وما يمثله ذلك من صراع بين الروح والمادة ، وبين الخير والشر ، وبين الحق والباطل ، وبين النور والظلمة [١] .

---

(١) إن فساد منطق الداروينية الاجتماعية العشوائية الملحدة لا يعني بالضرورة أن =

= ننكر أن خلق الإنسان لم يتم ماديًّا في تطور وانتقال من مرحلة إلى مرحلة إذا كان ذلك ما أراده اللَّه له حتى سواه ونفخ فيه من روحه ، بل إن القرآن الكريم فيه ما يشير إلى هذا التطور والانتقال من حال إلى حال حتى تمت تسوية الإنسان بشرًا سويًّا ، يقول اللَّه ﷻ : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٧- ٩] فمن الواضح – حسب منطوق هذه الآية وما تشير إليه بعض الحفريات والأبحاث العلمية – أن اللَّه قدَّر خلق الإنسان على مراحل ثلاث ، هي : اثنتان منها مراحل حيوية وحيوانية فيها حياة ولكن لا روح فيها ، مرحلة بدء خلقه الأولية ثم مرحلة الارتقاء الحيوانية التناسلية ثم المرحلة الثالثة والأخيرة التي سوى اللَّه فيها أبينا آدم إنسانًا سويًّا ، ونفخ فيه من روحه ، وهذه قضية – في رأينا – لا علاقة لها البتة بدعوى العشوائية الداروينية الساذجة ، يقول اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٨٢- ٨٣] أي إن إرادة اللَّه ﷻ تجري على الوجه الذي يشاء ، أي إنها تعني حتمية النفاذ . وهذا يوضح أن الإنسان ليس مجرد حيوان ، بل هو كائن متميز بالروح التي تدفعه بما جبل عليه من العقل والإدراك والضمير ، للتطلع نحو نور الحق ، مصارعة شريعة الغاب العدوانية ، وأيًّا كان ما يقرره البحث العلمي عن الهيئة التي خلق اللَّه بها الإنسان ، فهي مقبولة عند المؤمن ؛ لأن ذلك يعني أمر اللَّه وإرادته ، وعلى المسلم طلب العلم والمعرفة التي لا يمكن في نهاية المطاف أن تتعارض مع الوحي المنزل من عند الخالق ﷻ ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣] ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾ [العنكبوت: ٢٠] .

فالفلسفة الداروينية الاجتماعية هي الفلسفة التي يقوم عليها الفكر الغربي المعاصر بعد أن تنكر - مع شيء من العذر - للمسيحية المحرفة في نظرتها إلى الإنسان والحياة والوجود ، وتمثلت فلسفته في عبادة المادة والقوة ، والغلبة والقهر والافتراس ، وما في ذلك من تجاهلٍ لجانب الروح في الإنسان ، وتجاوز لجانب الحق والعدل والنور والمسؤولية الإنسانية ، مما يمثل ارتكاسًا بالإنسان إلى طبيعة الطين الحيوانية المنحطة التي تمثلها شريعة الغاب والافتراس ، بحيث أصبح الحق يعني الغلبة ، ويكون للقوة ، وأن البقاء للأصلح بمعنى الأقوى ، وهو فكر تمكَّن من الغرب ومَنْ قلَّدهم وسار على دربهم . وفي الحقيقة فإن معاني الإنسانية والتراحم والتكافل والتسامي الإنساني فيما وراء الذات القومية العنصرية تتلاشى بصور مختلفة في سياسات أصحاب هذه الشريعة ومفاهيمهم في التعامل مع الآخر في صورها الإمبريالية والاستيطانية لتحل محلها روح الحيوانية والقسوة ، وتسود معها أبشع أنواع العنصرية العدوانية الاستعمارية التي عانت منها - على يد

الغرب - شعوبُ الإنسانيةِ أنواعَ الظلم والقهر ، كما يفسر هذا الفكر وهذه الفلسفة ظهور القومية في الفكر السياسي الأوروبي الحديث التي وصلت القسوة والعنصرية بها إلى حدٍّ الإبادة الوحشية في بعض الأحيان ، كما حدث في الأمريكتين ، وفي أفريقيا وأستراليا وبلاد الشرق الأقصى ، وكما يحدث اليوم من قبل الغرب الصهيوني على أرض فلسطين .

إن شريعة الغاب هي شريعة الطين ، وشريعة الافتراس ، وشريعة الظلم ، وشريعة العنصرية ، وشريعة الاعتداء . أما شريعة النور كما جاءت بها الرسالات السماوية في الإسلام وفي بقاياها غير المحرفة في مختلف الأديان فهي شريعة الحق ، وشريعة العدل ، وشريعة المسؤولية ، وشريعة الإخاء والتراحم والتكافل الإنساني ، وهي شريعة التقوى وحفظ الأرواح ، وشريعة أداء الأمانات وإنصاف المظلوم ، وعدم الإسراف والفساد ، باعتبار إنساني ودون أي اعتبار ذاتي أو قومي أو عنصري ، والقوة في هذه الشريعة للحق على عكس مقولة

شريعة الغاب التي تجعل الحقَّ للقوة ، ولا مجال في علاقات الشعوب في شريعة الغاب لمقولات الحقِّ والعدل لذاتها ، ولكن الحقوق ترتب ، أو على الأصح فإن المكاسب - تحت مسمى المصالح القومية والضرورات السياسية - توزع على أساس التغالب وحلول الصراعات السياسية التي تقوم على قهر غلبة القوة ، وما جرى للشعوبِ على يد الاستعمار ، خاصة في أفريقيا وأمريكا ، والذي مايزال يجري على غراره بيد الوحشية الصهيونية للشعب الفلسطيني الذي سُلِبت أرضُه ، وقُتِل - على مدى أكثر من نصف قرن من الزمان جزء كبير من شعبه وشُرِّد ، وسُلِبت ودُمِّرَت جُلُّ أرضه وبلاده ، بدعمٍ من الغرب الاستعماري وسلاحه وسياساته ، والذي يبقى - على الرغم من كل الأكاذيب والتدليسات السياسية والدعائية والحروب النفسية - شاهدًا محسوسًا ملموسًا على قيم شريعة الغاب الغربية المادية الطينية ومفاهيمها القائمة على الظلم والعدوان والكيل بمكيالين أو بعدة مكاييل ، والتي جرَّت - وما تزال تجرُّ - حتى اليوم على الإنسانية الكثير من

المظالم والويلات والحروب ، وبما طورته من أسلحة الحروب والدمار الشامل ، وذلك على غير ما تقضي به قيم شريعة النور ومفاهيمها وأسسها التي جاءت بها رسالات السماء في الحقِّ والعدل والرحمة والتكافل .

إن الدرس المستفاد من هذه التأملات أن الإنسان يلتقي فيه سمو الروح والضمير كما يلتقي فيه انحطاط الشهوات والأهواء والطين ، وإن الروح تدفعه نحو الحقِّ والعدل ، بينما تدفعه حيوانيته الطينية نحو الشهوات والأهواء والظلم والعدوان ، ولكلٍّ واحدٍ من هذين القطبين شريعته ، فشريعة قطب الروح والنور الإلهي تجعل القوة للحق وتحض على الخير والعدل ، أما شريعة الطين فحيوانية الغاب ، وعدوانيته ، وهي تجعل الحقَّ للقوة ، وإن إنسان شريعة الغاب الطينية المادية يكون مجبولًا على الغلبة والعدوان والظلم .

الحق للقوة : شرعة الغرب المادي العنصري الاستعماري

ولذلك نجد الغرب حين انحرف عن شريعة النور وشوهها

وأنكرها ، وأخلد إلى الأرض خيَّم الضلالُ على فكرِه ، فأنكرَ بذلك جانبَ الروح وقيمَ الروح وغاياتها ، وتلبَّس حيوانية الطين المنحطة ، وارتد إلى ظلمة الجاهلية ، وأصبحت شريعتُه شريعةَ الغابِ الحيوانية العدوانية العنصرية الاستعمارية ، التي تعطي الحقَّ للقوة ، فانطلاقًا من القيم الحيوانية انهارت - في مجتمعاته - الأخلاقُ وسلوكياتُها إلا من أثارات الروح ، وبقايا شرائع النور ، وبَاهِتِ العادات والتقاليد التي ورثوها من سالف المسيحية ومن سالف لقائهم وتتلمذهم على المجتمعات والحضارة الإسلامية في العصور الوسطى - وفشا العنف والعنصرية ، وشاعت الفواحش ، وانهارت بذلك جلُّ مقومات الأسرة ، التي لم تعد مهدًا للإنجاب والحنو والتراحم ، بل غدت مجردَ لهاثٍ ومتعٍ جنسيةٍ معربدةٍ ، وأصبحت تبعاتها عبئًا على الآباء، ويتهربون منها ، فضاعت بذلك الحقوق ، واشتدَّت فيها معاناة الأمهات وشقاء الأطفال ، وفي المجال الدولي ما عاد هناك موضع لاعتبارات الحقِّ والعدل في تعاملات الغرب مع الأمم الأخرى ، بل أصبح الاعتبار كل

الاعتبار للقوة التي تفرض - بكثير من المغالطة الفجّة والتدليس القبيح - الأمرَ الواقعَ ، لا بقوة الحق ، بل بحق القوة ، وباسم دعاوى السياسة والحلول الوسط والأمر الواقع ، والمصالح القومية ، التي يفرضها منطق القوة ، فالتظالُمُ لديه يسمى سياسةً ومهارةً ، والانحلال والهبوط يسمى حريةً وتقدمًا وحضارةً ، ولا موضع في هذا الفكر وفي هذه الفلسفة - على الحقيقة - للحق والعدل مكانة وموضع ؛ لأن دليل شريعة الغاب وغايتها هو القوة والمصالح القومية ومطامعها الأنانية ، وقد وصف الله ﷻ في القرآن الكريم هؤلاء الجاهليين الهمجيين أتباع شريعة الغاب ، وهو ما تمثلته في هذا العصر ما اقترفته الشعوب الغربية من الممارسات الاستعمارية غير الإنسانية ضد شعوب آسيا وأفريقيا والأمريكتين ، وهو عين ما نراه حتى اليوم من سياسات وممارسات الغرب ضد هذه الشعوب ، ولاسيما ما يجري على مدى ثلاثة أرباع قرن من الزمان من الممارسات الاستعمارية الوحشية الاستيطانية من قِبَلِ اليهودية الصهيونية العنصرية المدفوعة والمدعومة من قِبَلِ

المسيحية الغربية الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني ، والتي تهدف - وبوحشية فاشية حيوانية - إلى إبادة هذا الشعب ، فقتلت منه مئات الألوف ، وهجَّرت منه الملايين ، واستولت على أربعة أخماس أرضه ، ودمَّرت - وما تزال - تدمر مابقي من أرضه وشعبه ، وهي تعمل حتى اليوم بوحشية غير مسبوقة على قتل من بقي منهم ، وتهديم حياتهم ، وإخراجهم من أرضهم وديارهم بمختلف الوسائل الدموية ، دون أدنى مراعاة لأي قيم إنسانية أو عهود أو مواثيق دولية ، أو لأي حقٍّ من حقوق الإنسان ، التي أصبحت من كلمات الحق الذي يراد به باطل السياسات الغربية الصهيونية الاستعمارية ، وأصبحت أداة من أدواتها ، والتي نرى أنها لا تُحتَرَم على وجه الحقيقة إلا ما يتعلق منها بشأن العنصر الغربي وأداته الصهيونية ورعايا دولهم ومصالحهم الاستعمارية الظالمة الاستغلالية والوحشية الاستيطانية ، يقول اللّٰه تعالىٰ في وصف الجاهليين أتباع شريعة الغاب في عهد تنزيل الرسالة وفيما بعد عهد تنزيل الرسالة لكل من سار سيرهم ونهج على منوالهم ، وذلك في

سورة التوبة ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة : ٨] وعلى الرغم من ذلك فإنه يجب ألا يغيب عن البال أن هذا تقويم للثقافة والفكر والحضارة الغالبة والتوجه العام للغرب في العصر الحديث ، الذي يرسم سياساته ويحدد توجهاته العنصرية الاستعمارية التي تبرر المظالم ، وتدفع إليها ، وتتقبلها بقحة وفجاجة ، وتجعلها تكيل - بلا مبالاة - بكيلين ، وليس ذلك تقويمًا للأفراد ولا للفئات التي تتعدد اتجاهاتها وقد تختلف قناعاتها وتتعارض جزءًا أو كلًّا مع التوجه الحيواني الاستعماري الصهيوني السائد في المجتمع ، لكنها في النهاية - مع الأسف حتى اليوم - وإن تعددت واختلفت إلا أن حجمها وتأثيرها لا يغير في الوقت الحاضر من التوجه العام الغالب في المجتمع وسياسات مؤسساته ، وعلى الرغم من ذلك فإن بعض هؤلاء الأفراد وهذه الفئات ما تزال تستمسك بشيء من قيم النور ونوازع الروح ، والتي يمكن أن تصبح في المستقبل - بإذن الله - بذورًا للإصلاح والهداية

والخير في مجتمعاتها ، والتي يجب التعاون والتآزر معها لخير بلادها وخير الإنسانية على السواء .

إنه لا يمكن فهم العقلية الغربية المعاصرة وسياساتها النفعية التي تتسلط بها على الشعوب الضعيفة التي تكيل فيها لمصالحها الأنانية بأكثر من مكيال ، كما لايمكن أن يفهم لماذا نشأت وسادت فكرة القومية (nationalism) التي هي الوجه الآخر للتضامن العنصري الحيواني الذي ينطلق من منطلق القوة والغلبة وافتراس الآخر ، في هذه الفترة من تاريخ الغرب بالذات ، الذي كانت القومية هي أحد معالمه الإيديولوجية البارزة ، كما لا يمكن فهم سيادة فكرة سياسات القوة (power politics) والسيطرة الاستعمارية التسلطية التي تلحق المبادئ بالأسلاب والمكاسب - التي تُدْعَى المصالح - والتي تعرف في مجال الافتراس الدولي المعاصر بالمصالح القومية ، كما لا يفهم هوس الغرب بالتسلح واحتكاره وتطوير أسلحة الدمار الشامل وفرض السياسات والمصالح الظالمة وإعاقة

نموِّ الشعوب ، بل وتدمير بعضها ، وإخراج من يتبقى منهم من ديارهم ، والعمل على استلابها واستلاب مواردها ، والحيلولة دون تحررها الاقتصادي والثقافي ، كل هذا لا يفهم إلا إذا فُهِمَ مدلولُ تخلي الغرب عن شرائع النور السماوية التي حُرِّفَتْ في دياناته ، والتي تجعل - في أصلها غير المحرف - القوةَ للحقِّ ، وتلحق المصالح والمكاسب بالمبادئ ، على عكس قانون افتراس الغاب الذي يجعل الحق للقوة ، ويلحق المبادئ بالمكاسب والمصالح ، فيغلب بذلك انحطاط الطين ونوازعه على سمو النور وأشواق الروح .

وحتى نفهم الأمور التي يصعب فهمها في فكر الغرب وسلوكه ، وفي فكر المسلمين وسلوكهم ، يجب علينا أن نفهم الشرائع التي يتبعها كل فريق ، ونفهم توجهاته العقدية والمفاهيمية .

فإغراق الغرب في المادية والنهم المادي ، وجعله المادة غايته التي يلهث وراء الحصول عليها والاستمتاع بها ، وإغراقه في

الجانب الاستهلاكي الذي يبدو أنه غير قابل للشبع ، لايمكن فهمه انطلاقًا من المرتكز الديني المسيحي ، ولكن من الممكن فهمه من المرتكز الحيواني الطيني ، وذلك إذا ما تذكرنا أن الغرب قد تخلى عن روحانيته لأسباب تتعلق في بعض جوانبها بما أصاب أصل رسالة النور المسيحية - واليهودية من قبل كذلك - من تشويه وتحريف ، ولذلك تلبَّس الغرب - في عمومه - شريعة الغاب وطبيعة الحيوان الطينية المنحطة ، حيث المادة والحياة هي غاية السعي والوجود الحيواني ، لاغاية ولاهدف ولا سعي فيما وراءهما ، فغابت في الغرب شريعة النور وتحللت الأخلاق وانهارت القيم وتفشت الفواحش واستعر لهاث الشهوات وأصبحت حاجات الحيوان المعيشية المادية هي الغاية ، ولاغاية وراءها ، وأصبح من الطبيعي وقد تخلى الغرب عن شرائع النور ، ونظر إلى الإنسان على أنه حيوان ، أن تصبح المادة والحاجات المعاشية غاية وجود الإنسان الغربي التي لا غاية لـه وراءها ، ويوضح القرآن الكريم لنا حال ما انتهوا إليه وطبيعته وغاياته ومآله في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ

﴿ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ١٢] وقوله تعالى: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

قسوة الاستعمار والفاشية والصهيونية : لقاء الشيطان والحيوان

وثالثة الأثافي وداهية الدواهي حين تلتقي النار والطين ، أو يلتقي الشيطان والحيوان في الإنسان ، فيتجسد الشر والفساد في أبشع صوره ، ويتعاظم الانحطاط والظلم والعدوان إلى الحد الذي لا تستطيع النفوس السوية تصور بعض ما تقدم عليه بعض تلك النفوس الشريرة التي جندت حيوانيتها في خدمة إبليس وطاقاته الشيطانية التدميرية - من الشناعات والقذارات وما ترتكبه من صنوف العنف والقسوة والنذالة والظلم والعدوان في حقوق الأبرياء والضعفاء .

إن هذا اللقاء بين النار والطين ، والشيطان والحيوان ، في بعض النفوس ، وفي بعض الأمم ، هو الذي يفسر لنا في الواقع

والتاريخ الشخصيات الإجرامية والتدميرية في الأفراد والأمم على شاكلة نيرون وجنكيز خان وإيفان الرهيب وهتلر وستالين ، ودول كالرومان والمغول وإسبانيا العصور الوسطى في الأندلس والاستعمار الأوروبي في آسيا وأستراليا والأمريكتين ، فقضت وسفكت ظلمًا وعدوانًا على أمم وشعوب وحضارات بلغ ببعضها حدَّ الإبادةِ من على ظهر الوجود ، والتي ما نزال نذكر منها حتى اليوم بشاعات هتلر وموسوليني وستالين وترومان في أوروبا وآسيا وأفريقيا ، بل الأدهى والأمر أننا بكل الأسى والحزن أننا مازلنا نشاهدها ونسمعها حتى اليوم فيما ينال الشعب الفلسطيني بسلاح الغرب وماله ودعمه وحمايته على يد الصهيونية الغربية وغزاتها الجدد في الاستيلاء على أرضه ووطنه وتدميره وقتله وتشريده في أرجاء المعمورة ، على مرأى ومسمعٍ من العالم وبقهر قوى الغطرسة والتسلط الاستعماري العالمي المعاصر . كما أن هذا اللقاء بين النار المدمرة والطين المنحط ، وبين الشيطان والحيوان ، هو الذي يفسر لنا في هذه الحضارة المادية مقدار النهم والاحتفاء بأسلحة

الحرب والدمار الشامل في اختراعاتها ، وصنعها وتكديسها واحتكارها وترويج تجارتها واستخدامها في غير رحمة ولا هوادة حتى ضد المظلومين وطلاب العدل والحرية ، ورجال المقاومة ودعاة التحرر من القهر والاستغلال والاستعمار .

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ۝ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٥- ١٧٨] ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٣- ٤٤] ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ

كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم﴾ [محمد: ١٢- ١٤]

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٢٩- ٣٠] ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ

يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [الروم: ٧- ١٢] ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: ٢٠] ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٨] ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ [الكهف: ٥٨- ٥٩] ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴾ [مريم: ٧٥] ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان: ٢٣- ٢٤] .

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ

شَٰكِرِينَ (١٧) قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ
مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا
وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ
لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ
ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي
لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ (٢١) فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا
سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ
أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢)
قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْخَٰسِرِينَ (٢٣) قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ
مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا
تُخْرَجُونَ (٢٥) يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ
وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦)
يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ
عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا
تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧) وَإِذَا فَعَلُوا۟

فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦- ٢٨] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾ [النور: ٢١] ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [لقمان: ٢١] ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ [النساء: ١١٩- ١٢١] .

﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٣- ٤٤] ﴿ وَٱلَّذِينَ

يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴾ [النساء: ٣٨] ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة: ٢٠٨] .

شريعة الروح شريعة النور والعدل :

أما بالنسبة للمسلمين الذين مايزال ولاؤهم لشريعة النور ، ورسالة الإسلام التي حفظها القرآن الكريم ، والتي ما تزال ساكنة ومستقرة في قلوبهم ، وما تزال نفوسهم متمنية أن تجد القدرة على التلبس بها ، فإن نفوسهم قد توزعت بين أمرين أولهما بين ما يسكن في قلوبهم وضمائرهم من قيم ومبادئ سامية ، ويجعل المادة لديهم وسيلة لغاية خيِّرة أعظم تتمثل في السعي بالحق والعدل ، وتجسيد ذلك في واقع الحياة ، واستخدام الحياة والطين والمادة وسيلة إلى تحقيق معاني النور

وقيمه وغاياته ومقاصده الروحانية العليا ، وتجسيدها ، فيسمو الإنسان بذاته وبالمادة وتكون المادة حينئذٍ وسيلة نورانية خيِّرة ، هذا من ناحية ، وثانيًا بين ما تنزع إليه نفوسهم - وعلى شاكلة فكر الغرب ومفاهيمه - من الرغبة في الحصول على الوفرة المادية المعيشية التي تدفع إليها حاجة الجسد الطيني ونوازعه الحيوانية وما يصحبها من المتعِ والراحةِ من ناحية ، ولكن جهودهم بسبب غبش الرؤية بشأن منطلقاتهم وغايات شريعتهم بشأن المادة ، وهل هي وسيلة أم غاية ؟ لذلك كانوا تلاميذ فاشلين في تتلمذهم على الغرب دون إرادة أو عزم على غير حال أمم أخرى كاليابان وتتلمذت بعدهم ولذلك ما يزال سعي المسلمين حتى اليوم في تحقيق التقدم المادي يمنى بالفشل ، وما تزال شعوبهم لا تستجيب ، ولا تتحرك فيها كوامن العزم والطاقة ؛ لأنه لابد من وضوح رؤية هذه الشعوب في أمر المادة من منطلق الإسلام في أنها وسيلة ضرورية لتحقيق الغايات الروحية العليا من خلال المادة والوجود والعيش الحياتي المادي .

ولو أننا فهمنا ذاتنا ومنطلقاتنا وبناء ضمائرنا ، وعرفنا المفاهيم والمنطلقات التي تحرك وجداننا ، لأدركنا أن الضمير المسلم لايمكن أن يقبل بالمادة والحاجة المعاشية لتكون غاية له ، ولذلك نجد المسلم على الرغم من غبشه العقدي والفكري ، وعلى الرغم من إقباله على تقليد الغرب في سعيه وتعلقه بالمادة وجعله الحاجة المعاشية المادية – تقليدًا للغرب – غاية له ، إلا أنه يظل – بحكم تكوين ضميره – غير مقتنع بأن المادة هي الغاية ، ولا يمكن للأمة المسلمة أن تجعل المادة في أي يوم من الأيام غاية للحياة – وإن كان لابد منها للحاجة المعاشية – وذلك لأنها ليست أصلًا في عقيدة المسلم وضميره وغاية وجوده ؛ ولذلك كان الإنسان المسلم وسيظل فاتر العزم ، مترددًا في متابعة الغرب وتقليده ، مما أفشل وسيستمر يُفشل مساعي نهضته وجديته في الإنتاج والإبداع لأنه لا قوة ولا عزم دون رؤية واضحة وغاية محددة .

ومن الواضح هنا أن المسلم إذا أراد النهضة وحمل الرسالة

يجب أن يكون أكثر جدية في تعامله مع المادة والأخذ بأسبابها، لتحقيق قيم الخير وغاياته ، وتجسيدها في رحلة الحياة؛ لأنه دون المادة لا يمكن تحقيق تلك الغايات ، ولا تجسيد تلك المقاصد والقيم ، والمادة حين تجسد معاني الخير والحق والجمال وشريعة النور فإنها تسمو وتصبح خيرًا ونعمة ورقيًا وتقدمًا ، أما إذا أصبحت غاية في حدِّ ذاتها ، وأصبحت تجسيدًا لغايات شريعة الغاب والظلم والعدوان والعنصرية والشرك والإلحاد فإنها تكون عند ذلك في الحقيقة ظلمًا وشرًا وفسادًا في الأرض ، وخداعًا وسرابًا وهوًى وشهواتٍ ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة : ١٤٨] ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ [النساء : ٦٦] ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٣] ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٣] .

ويقول الله ﷻ : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ

وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧] ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [المزمل: ٢٠] ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٥] ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ [آل عمران: ٣٠] ﴿ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الإسراء: ٣٥].

ويقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٧٢] ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١١٤] ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾ [الأعراف: ٣٢- ٣٣] ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ [النازعات: ٣١- ٣٣] ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ

فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَـٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم: ٣٢- ٣٣] ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان: ٢٠] ﴿ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٦] ﴿ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس: ٢٦] ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١] .

فإذا أراد المسلم أن ينجح في السباق الحضاري للأمم فإنه لابدَّ له من أن يفهم منطلقاته العقدية دون غبش ، وأن يتعامل مع المادة والحاجة المعيشية بصفتها وسيلة من أجل تحقيق غايته الروحانية الأبدية الكبرى في بناء حضارة الحق ، وتجسيد مجتمع التعاون والعدل والفضيلة والتكافل الإنساني الصادق ، وإلا فإنه لن يستطيع أن يأخذ الحياة مأخذ الجد ، ولن يكون خليفة مُصْلِحًا مبدعًا ، ولن ينجح في مسعاه في هذا السباق

الأممي ، ولن يفلح في بناء حضارة الحق ، وتمكين شريعة النور ، وتحقيق عيش الأتقياء القادرين الشرفاء .

وضوح الرؤية جادة الطريق وطوق النجاة :

عندما لاتعرف الأمم وقادتها مِنْ أهل الرأي والفكر جوهر ذواتهم ، ولا يتيقنون حقيقة وجهتهم وشرعتهم ، فإن أمرهم حينذاك أشبه مايكون بحال التائه في الصحراء ، الذي لا يحدد لنفسه وجهة واحدة يسير في اتجاهها بقوةٍ وعزمٍ ؛ لأن التوجه الواحد الحاسم الجازم في الصحراء - ضمن الظروف التي يمر بها غالبًا - هو الذي يمثل الأمل الوحيد في نجاة التائه ، حيث إن جلَّ من يهلكون في متاهات الصحاري هم من أولئك الذين لا يقررون ولا يحددون لأنفسهم وجهة واحدة يمضون باتجاهها ، ويظلون يغيرون وجهتهم ، بسبب الحيرة والتردد بين وجهة وأخرى ، حتى ينتهي بهم التيه إلى دوائر من الضياع والهلاك .

وإن عدم وضوح رؤية الأمة ، وانبهار مثقفيها بالغرب وتقليده ، دون فهم ما يقلدون ، ودون نقدِ جيِّدِه من رديئه ،

وطيبه من خبيثه ، مع حيرتهم وترددهم بين الأخذ - بوعي - بالجيد مما لديهم واقتباس الجديد المناسب لهم مما لدى غيرهم[١] أو الأخذ الأعمى المنبهر بما لدى الآخرين ، هذا الغبش والتردد يُعَدُّ من أهم أسباب فشلهم وتخلفهم ؛ لأنهم بذلك لا يأخذون الحياة والسعي في سبلها بقوة وعزم ، وذلك يعد من أكبر المعوقات أمام نهضة الأمة ، وأشدها إعاقةً لحركة الإصلاح فيها ؛ لأنها تحول دون تفجير طاقاتها ، ودون انطلاق مسيرتها ، وتحد من قدرتها ، وتقف حجر عثرة أمام تمكينها من أداء رسالتها الإنسانية الخيِّرة .

---

(١) كثير من القيم والمفاهيم هي مفاهيم معيبة وهدامة إنسانيًا وحضاريًا إذا حُصِرَتْ ضمن الدائرة الأنانية العنصرية القومية ، ومنها التكافل والتضامن ، حيث تصبح إيجابية حضارية بناءة إذا أُخرِجَتْ إلى الدائرة الإنسانية ، وذلك هو المفهوم الإسلامي الذي يحقق الإخاء والتراحم والسلام والأمن الإنساني ، كما أن من المهم للفكر والحضارة الإسلامية الاهتمام بجانب الآليات والوسائل ، خاصة في بناء المؤسسات ، ومنها مثلًا مؤسسة المجالس النيابية ، وآليتها ، وفصل السلطات ، والانتخابات ، مع الحاجة إلى تطويرها بما يحد من التأثير السلبي للمال والمصالح الخاصة ، ومنها كذلك المؤسسات والمنظمات الدولية المعنية بالسلام والأمن الدوليين .

إن رسالة الإسلام السماوية مازالت محفوظة غير محرفة - كما وعد اللّه سبحانه - في القرآن الكريم وفي صحيح سنة رسوله الكريم ﷺ ، ومازالت الإنسانية في أشد الحاجة إلى هديها ، بل إن الإنسانية اليوم بما هي عليه من حيوانية مدمرة في أشد الحاجة من أي وقت مضى إلى هديها ، مما يضع على كاهل الأمة الإسلامية مسؤولية أكبر من مجرد مسؤولية إصلاح أمرها واستعادة تمثُّلها لرسالة إسلامها ، وذلك هو مسؤولية إصلاح الحضارة الإنسانية واستنقاذ شعوبها من بين أنياب شريعة الغاب وما تحمله في طواياها من آفاقٍ أبعد وأخطر من الفساد والدمار ، الذي إن تُرك دون مراجعة وإصلاح فإنه حتمًا سيقود الإنسانية بروح حيوانية عنصرية عدوانية إلى الخراب والدمار ، وما جرى في القرن العشرين ، وما افتتحت به الصهيونيةُ والغربُ القرنَ الحاديَ والعشرين من المظالم والحروب ، وما تنبئ عنه آفاقها ، للمسلمين خاصة وللإنسانية عامة ، هي نذير بالمخاطر العظمى التي يجب أن يتصدى لها ويأخذها بجدٍّ عقلاءُ الأمة المسلمة خاصة ، وعقلاء أمم الأرض

عامة ، قبل فوات الأوان .

إن وضوح رؤية المسلم لطبيعته الإنسانية وما فيها من صراع بين الروح والطين ، والنور والظلام ، والحق والباطل ، والعدل والظلم ، ومن تربص إبليس به وما عليه من مسؤولية الصلاح في النفس والإصلاح في الأرض ، هو أمر أساس لإصلاح الذات ، ومواجهة تحديات حضارة الغرب ومظالم شريعة الغاب ، بقصد التأثير والتعامل الإيجابي الفعال معها ، والتمكن من القوة والقدرة العلمية التكنولوجية ، التي تتسلح بها ، والعمل - في الوقت نفسه ، وبالتعاون مع كل عناصر الخير والسلام والأمن الإنساني في الشرق والغرب - على إقامة مجتمع دولي تسوده شريعة النور والحق والعدل ، لا شريعة الغاب العنصرية الظالمة ، التي جرّت الإنسانيةَ إلى الحروب العالمية والإقليمية والمحلية الظالمة المدمرة .

إن على المسلم وأتباع شرائع النور السماوية معرفة أنهم بشفافية الروح ونورانيتها في مواجهة شريعة الغاب بظلاميتها

الحيوانية الطينية ، هم فى مواجهةٍ بين النور والظلام وبين الحق والعدل والباطل والظلم ، وأنه لابد لهم وللروح والنور من القوة لدرء المظالم والعدوان وإعلاء راية الحق والعدل ، شأنهم في هذا شأن أتباع شريعة الغاب الظلامية في طلبهم للقوة الغشوم التي فرضوا بها رؤيتهم وثقافتهم على سواهم من الأمم وأخضعوا بها الشعوب المستضعفة بالقهر والجور لنيل مطامعهم وأهوائهم ، وهذا يعني أن على أتباع شريعة النور - قبل كل شيء - إصلاح ذواتهم ، حتى يمكنهم استنقاذ أنفسهم ، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة علمية في كيف يربى الإنسان المسلم منذ الطفولة ليكون إنسانًا علميًّا مبدعًا قادرًا وراغبًا في السعي والعمل والإتقان وامتلاك وسائل القوة والتفوق ، وإذا استنقذت الأمة الإسلامية نفسها كان بإمكانها أن تكون قوة ونموذجًا يبلغ الرسالة ويستنقذ الإنسان والحضارة الإنسانية .

إن القوة عامل مشترك بين شريعة النور - التي هي شريعة الروح وشريعة العدل - وبين شريعة الغاب - التي هي شريعة

الطين الخامد المنحط الخالي من الروح بقذارته وشهواته وتعدياته ومظالمه - وهي نقيض شريعة الروح بأشواقها ومعانيها وقيمها وتساميها ؛ ولذلك لابد لأتباع شريعة النور من امتلاك القوة ، لأن القوة وسيلة ضرورية لكافة أطراف التدافع البشري ، ولكن تختلف الغاية من القوة بين شريعة النور وشريعة الغاب ، فشريعة النور تسخرها للحق والعدل ، وشريعة الغاب تسخرها للقهر والظلم .

إن خلاص الإنسانية التي تَلَغُ اليوم في دمائها مخالبُ شريعةِ الغابِ ، وتمزقُها أنيابُ قوى الغشم والتسلطِ الاستعماري ، وتتفجرُ فيها ردودُ الفعلِ العنيفة بسبب ما أصاب كثير من أبناء الأمة الإسلامية وسواهم من الأمم المستضعفة من تحقيق العدل وما يعانون منه من غلبة قوى القهر والظلم ، الناجم عن الروح العنصرية الحيوانية السائدة في السياسات الدولية للدول الغربية ، والتي نشهد أبشع صورها على أرض القداسات في فلسطين ، وفي كثير من ديار المسلمين وبقية شعوب المستضعفين ، وهو

حال لا يكون إلا بسبب الدرك الحيواني الأسفل الذي انحدرت إليه الإنسانية المادية في هذا العصر ، وحتى يمكن أن تتنبه الإنسانية والحضارة لمخاطر شريعة الغاب ومظالمها ، وأن تعمل جاهدة من أجل أن تستعيد روحها ، وقيم هذه الروح ، وغاياتها ، وأن تستبدل شريعةَ الحقِّ والعدل والنور بشريعة الظلم والفساد في الأرض ، وحتى تتخلىعن هذه الشريعة وهذه الممارسات قبل أن تدمرها صراعاتها الدموية المادية الحيوانية بما أنبتته هذه الحضارة وهذه الشريعة من أنياب أسلحة الدمار الشامل ، وهذا لا يمكن أن يتم أو يتحقق إلا بقيام مجتمع إنساني دولي حقيقي يعتمد فلسفة الإسلام في السلام والأمن وفي قيم الحق والعدل الإنساني ليكون ذلك أساسًا له في وحدة الإنسانية في دوائر متداخلة ، على أساس متبادل من البر والتضامن والتكافل ، وليس على أساس القوميات والعرقيات وشريعة الغاب التي تجعل من الأمم الإنسانية البشرية حيوانات وقطعان متصارعة وحرابًا متقابلة [1] .

---

(١) انظر كتاب « النظرية الإسلامية للعلاقات الدولية : اتجاهات جديدة للفكر

إن علينا أن نذكر أن انسلاخ الشعوب الغربية عن الرسالات السماوية النورانية هو بسبب ما أصاب هذه الرسالات تاريخيًّا من تحريف ومؤسساتها الدينية من فساد ولذلك فجملة عامتهم لا تعرف في الجوهر حقيقة الإسلام والأديان السماوية وهم بذلك - على غير حال جل صناع السياسة والقرار فيهم الذين سيطرت عليهم وعلى أنظمتهم السياسية فئات من المعاندين وأصحاب المصالح والأطماع الخاصة - يُعتبرون شعوبًا مُضللة يجب على الدعاة وخاصة من المسلمين من مواطنيهم وأبناء جلدتهم الاجتهاد في دعوة هذه الشعوب وتبصيرهم بشريعة العدل الإلهية الروحية النورانية لمصلحة الإنسان وهدايته ، وكل ذلك مما يضاعف مسئولية المسلمين في فهم شريعتهم وتمثلها وإصلاح حالهم بها وتيسير سبل الدعوة والبلاغ عنها إلى الإنسانية وتعديل مسار حضارتها وتجنيبها ويلات الفساد والدمار التي تسير بها في خطى حثيثة إلى قعر الهاوية .

= والمنهجية » د . عبد الحميد أحمد أبو سليمان ترجمة د . ناصر أحمد المرشد البراك - الرياض - المملكة العربية السعودية .

يقول اللّه سبحانه وتعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور : ٣٥] ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥] ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم : ١] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الحجر : ٨٥] ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب : ٧٢] ﴿ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ٥٣] ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] .

ويقول ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ [المؤمنون : ٧١] ﴿ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ

ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ [الأحقاف : ٢٠] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٩٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ ٱعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٨] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٥] ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ

يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣- ٧٠] ﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢] .

ويقول ﷻ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٤- ٢٠٦] ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٥]

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ١- ٧] ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [المدثر: ٤٢- ٤٦] ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢- ٢٣] ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [النساء: ١٤٨] : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البقرة: ٢٦٨] ﴿ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٨] ﴿ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [النور: ٢١] ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ١٩] ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥١] ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠]

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٧٥] ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ ﴾ [الممتحنة: ٨] ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٦- ٢٨] ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٠] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣] ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم

بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

ويقول ﷻ : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٥- ١١٦] ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٢] ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٧] .

مفتاح التعامل مع الآخر : المعرفة المنهجية ومراكز وأقسام دراسة الغرب

لقد أنشأ الغرب الدراسات الاستشراقية [1] بهدف فهم الشعوب الأخرى ، إلا أن ذلك قد تم بروح قانون الغاب

---

(١) من العجيب أن يطلق على الجواسيس والمخربين من اليهود الصهاينة الإسرائيليين الذين يدرسون اللغة والثقافة العربية اسم (المستعربين) . وهم ليسوا مستعربين ولا ينتمون إلى العروبة ، ولا يمتون إليها بصلة ، ولكنهم أعداء مندسون . والأولى تسميتهم (الـمُعْوَرَبين) على وزن (المعجرمين ، والمعجرفين ، والمقولبين) الذين أُقحموا كيدًا ودسًّا بين صفوف جماهير العرب المستضعفين .

والعمل على استلاب تلك الشعوب ؛ ولذلك فإن فهمها يتم بهدف افتراس بعضها واستعمار بعضها الآخر وقهر شعوبها وتسخيرهم لأهواء الغرب ومطامعه ، ولعل الشعوب الإسلامية ومفكريها ومثقفيها يكفُّون عما يمارسونه من التقصير والعجز والتراخي ، وعليهم أن ينشئوا في بلادهم - ضمن برامجهم الإصلاحية النهضوية - مراكز للدراسات العلمية وأقسام وبرامج ودرجات أكاديمية تكرس جهودها لدراسة الغرب والفكر الغربي ، ودراسة طبيعته وفهم منطلقاته ، حتى يمكن فهمه والتفاعل القادر معه ، والعمل على توجيه حضارته وجهةً خَيِّرةً لمصلحة شعوب الإنسانية كافة ، ولا سيما تلك التي تملَّكتها سيادة نزعات شريعة الغاب العنصرية القومية العدوانية ، بغض النظر عن أنواع التمويه والتدليس الدعائي الإعلامي المقصود به تضليل الجماهير ، وتسهيل مهمة القهر والتسلط والاستلاب مِن قِبَلِ التجمعات والاتحادات القومية العنصرية الاستعمارية الكبرى التي اكتمل عقد هلالها الرهيب الذي أصبح يحيط بالأمة إحاطة السوار بالمعصم ، ويسيطر

على مقدرات العالم الإسلامي والأفريقي ، ويمزقها أوصالاً ، وذلك بقيام الاتحاد الأوروبي إلى جانب الاتحاد الأمريكي ، والاتحاد الروسي والهندي والصيني ، مما يجعل العالم الإسلامي والأفريقي التائه الممزق المتصارع فريسة للطامعين وللصياد الغربي وشركائه ولكلب صيده الصهيوني ، الذي هو في الحقيقة كلب متوحش وذئب غادر شرس له أطماعه الخاصة ، يجر على صاحبه الويلات ، وينهش قبل صاحبه الفريسةَ ، ولا يتورع عن نهش صاحبه الصياد [1] ذاته ، ولما كان لابد للصياد من فريسة ، هي العالم الإسلامي وعالم الجنوب فلن يقبل الصياد من الفريسة أن تقوم بدور كلب الصيد ، وهو ما يتوهمه الكثيرون بسبب ماهم عليه من حال الضعف ، آملين

---

(١) لم يتورع الكلب الصهيوني المتوحش عن نهش صاحبه « الغرب » وهو بعد في يرقته ، ومن ذلك على سبيل المثال تفجير « فندق الملك داوود » ، وإغراق السفينة « ليبرتي » الأمريكية ، ومؤامرة « لافون » لقتل السفير الأمريكي في القاهرة ، وفضيحة الجاسوس اليهودي الصهيوني الأمريكي « بولارد » ، وسوى ذلك من المنشور من فضائح التجسس والمتاجرة الصهيونية الإسرائيلية مع الأعداء بأسرار الأسياد كثيرة ، وما خفي كان أعظم .

في اقتناع الغرب - على أساس من روح الحق والعدل - بانتهاج سياسات عادلة متوازنة نحوهم تكفُّ عنهم غائلة التعديات والمظالم الاستعمارية والجرائم الصهيونية ، لكن الحقيقة أنهم - في ظل شريعة الغاب - قومٌ واهمون ، وإن أي تأثير من هذا النوع مما يعتمد الوسائل الدعائية والدبلوماسية المجرَّدة هو استثناء ومحدود ووقتي لا يعتدُّ به في مسار العلاقات الدولية المعاصرة ، وفي ظل المطامع والسياسات المعتمدة ، والأسلوب الوحيد الذي من الممكن أن يكون له تأثير على سياسات هذه الدول بالوسائل السلمية في الوقت الحاضر ، وضمن قواعد لعبة السياسات الداخلية في بلاد الغرب ، هو الجهود السياسية للمواطنين المسلمين من أبناء تلك البلاد ومن يساندهم من أبناء تلك البلاد ، من المؤمنين ببقايا النور في الرسالات السماوية ، ومن يؤازرهم من المضطهدين ، ومن أصحابِ الضمائر الحية ، على الرغم من أن دوام هذه القواعد ليس مضمونَ الاستمرار في ظل شريعة الغاب ومصالح الكواسر ، لأي فئةٍ أو أقليةٍ ، حتى ولا للأقلية الصهيونية ، وما

جرى بين الحربين في ألمانيا وأمريكا دروس من الخطأ للصهيونية بما سببته ، وسوف تسببه للغرب من معاناة وإنهاك في العالم الإسلامي وعالم الجنوب تجاهلها أو نسيانها أو تجاهل ونسيان ما سبقها من تجارب نَـهَمِهِم وتآمرهم وسعيهم بالظلم والفساد في الأرض ، منذ عهد الرومان وما قبل عهد الرومان وحتى يومنا هذا .

وإذا ما عرف المسلمون طريقهم ، وإذا ما صدقت جهود الإصلاح ، وصحَّت بها عزائمهم في الدعوة إلى اللَّه في بلاد الغرب ، فلعل ما بقي في النفوس من نوازع الروح ودوافع الفطرات السليمة يمكِّن لشريعة النور فيها ، ويعين على إعادة هذه الشعوب إلى طريق النور والعدل ، وليس ذلك على اللَّه بعزيز . ولا مخرج للعالم الإسلامي والأفريقي مستقبلًا حتى يحرر نفسه، ويسترد حقوقه وكرامته ، ويسهم في عطاء الحضارة الإنسانية ، إلا أن يقف على قدميه بقدرةٍ واقتدارٍ ، وليكون ندًّا وشريكًا داعمًا لقوى الخير والإصلاح .

لقد بدأت الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا منذ سنوات

بالخطوة الأولى في هذا الاتجاه ، وذلك بإنشاء تخصص جزئي MINOR SPECIALIZATION في الدراسات الغربية ، بهدف بناء قسم وتخصص رئيس في الدراسات الغربية لفهم الغرب ، وفهم فكره ومنطلقاته ، وتبيُّن طرق التفاعل والتأثير الإيجابي معه ، نحو تكاملٍ خَيِّرٍ وشراكةٍ إنسانيةٍ عادلةٍ تقوم على أسس الحق والعدل والتكافل الإنساني الخير البنَّاء من منطلقات شريعة النور لا شريعة الغاب ؛ ولذلك أرجو أن تواصل الجامعة المسيرة وأن تستكمل الخطوة بإنشاء قسم جامعي وبرنامج ومركز للدراسات العليا في مجال الدراسات الغربية .

والمأمول أن تكتمل خطة عمل الجامعة ، وأن تحذو جامعات الدول الإسلامية والعالم الثالث حذو الجامعة الإسلامية العالمية ، وأن تنشأ في هذه الجامعات البرامج والمراكز العلمية والبحثية في مجال الدراسات الغربية ، لبناء أساس حضاري سليم وفعَّال لحوار الحضارات وتكاملها ، لا صراع الحضارات وتظالمها .

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥] ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨- ٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨] ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

عَوْدٌ على بدء : نور الإيمان ونهج الشورى وقوة الإخاء

إن على المسلمين أن يدركوا أن ما أضاعهم هو افتقادهم قيم الحرية والشورى والتسامح والإخاء الإسلامي ، والإخاء الإنساني ، وقيم حرية العقيدة والضمير والرأي ، وبالتالي ضياع حقوق الإنسان وكرامته ، لتحل محلها قيم الاستبداد والجور والعنصرية والعرقية القبلية والشعوبية والطائفية ، ولتغرق الأمة في أوحال التمزق والتناحر والتظالم والتخلف ، ولتتلوث ثقافتها وتدمر عقليتها العلمية ، وتتفشى فيها الخرافة والشعوذة ، وتتمكن منها مشاعر الجبن والخوف ، وتصاب بمرض نفسية العبيد خوفًا ورهبة وخنوعًا وعجزًا [1] وإن على الأمة أن تعيد تأهيل ذاتها مهتدية بمبدأ التوحيد ومفهوم الاستخلاف من منطلق العدل ووحدة الإنسان ، وذلك باستعادة قيم الحرية والشورى والتسامح والإخاء ، وصفات الشجاعة والمبادرة والصدق والأمانة ، حتى تتمكن من استعادة قدرتها ووحدتها

(١) انظر كتاب « الطفولة : البعد الغائب في مشروع إصلاح الأمة » د . عبد الحميد أحمد أبو سليمان ، مؤسسة تنمية الطفولة ، هرندن ، فرجينيا ، ٢٠٠٣م .

واستقرارها ، فتكون بذلك الرائد والقائد إلى الخير والسلام بالقدوة والحكمة والموعظة والدعوة إلى سبيل النور والأمن والسلام بالتي هي أحسن ، تسندها القوة والقدرة لحماية البيضة ، وإحقاق الحق ، والذود عن المستضعفين .

ليس لكل سؤال جواب

أما لماذا التقى عالما الروحِ والمادةِ في الإنسان ، وما دلالة هذا الصراع بينهما والذي يرتقي به بعضهم - بما كسبت أيدي العاملين - إلى أمان الصفاء الروحي والنعيم الأبدي ، فيما ينحط به بعضهم الآخر - بما كسبت أيدي المجرمين - إلى الشقاء والعذاب المقيم ؟ وما دلالة هذا الصراع الذي به تكدح الأرواح في صراعها مع الأهواء والشهوات ؟ وكيف يمكن لمخلوق أن تكون له ، وهو كله مخلوق إرادة حرة مسؤولة ؟ كل هذه الأسئلة لا تسهل الإجابة عنها ، ولكننا نعلم أنه من خلال هذا الكدح تُعَبِّدُ النفوسُ ذواتَها ، فتهتدي بالنور إلى الحق . كما أننا نعلم في نفوسنا أن الإنسان وهو النفس

المخلوقة ، والجزء الصغير ، ذو المنطق المحدود ، لايمكنه أن يكون قادرًا – بشكل مستقل – على أن يقطع مفازة الحياة ، ويدرك غاياتها الكبرى ، دون تبصير وهداية نورانية ربانية ، تبصِّره سبل تحمُّل مسؤولياته وتحقيق غايات وجوده ، كل هذه أمور يحسُّها الإنسان في دخيلة وعيه وصميم ذاته ؛ ولذلك فإن على الإنسان أن يحرص – بكل العقل والحكمة – على الهداية النورانية الربانية واتباع شريعتها ، حتى يمكنه حمل مسؤوليته الخيِّرة في الحياة ، والدعوة إليها على أساس من قيم الحق والعدل والتراحم .

معنى الحياة الإنسانية الدنيوية :
تجسيد قيم النور وتسامي مادية الطين

كل الأسئلة التي سبق الإشارة إليها لابد من أن ترد بشكل واع أو بشكل غير واع في ذهن الإنسان ، وأن يراوح التفكير بها ، وعلى الرغم من أن مثل تلك القضايا تبدو أبعد من إدراك منطقنا البشري ، ومع ذلك فإنه يبدو أنه بإمكاننا أن نتبين بعض

المعاني ذات الدلالة في بعض هذه المجالات ، ومنها لقاء الروح والنور مع المادة والطين ، في كيان الإنسان ، والغاية منه ، وهو ما يجعل الإنسان ذاته ساحةَ الصراع بين النور والظلمة ، وبين الهدى والضلال ، وبين الخير والشر ، وبين الطاعة والمعصية ، وبين الروح والمادة ، وبين الطهارة والقذارة ، وبين الملاك والحيوان ، وبين الرحمن والشيطان . فنرى من خلال هذا اللقاء والصراع والتوجه والتدافع كيف يتجسد النور والحق والعدل في المادة الطينية ، فتصبح المعاني حقائق مادية ماثلة أمام عيان الإنسان ، وكيف يجسِّد الطينُ معانيَ الخيرِ والحق والجمال ويبرزها أعمالًا في صور مادية طينية تأسر القلوب وتأخذ بالألباب ، فتُلقي المعاني على المادة صور الطهارة والإبداع والجمال ، ونرى بهذا اللقاء ومن خلاله كيف تصبح معاني النور والحق والعدل والرحمة صورًا وأشكالًا حقيقةً ماديةً ملموسةً ، فيها تتحول المادة والطين إلى قيم وصور سامية بتلبسها معاني النور والحق والعدل والجمال ، لتصبح واقعًا قائمًا ملموسًا في حياة الناس وممارساتهم .

بهذا اللقاء بين النور والروح والطين تتبدى صور الخير والجمال ملموسةً محسوسةً ، ومن هذه الصور البديعة الملموسة التي تمتع نفوس البشر ، صورُ الجمال في الحياة الإنسانية التي تتجسد في المادة والطين ، فيتحول بذلك الطين الخامد المهين ألوانًا من الجمال ، أجسامًا وأجسادًا وأشكالًا وألوانًا وزهورًا وطيورًا وحدائقَ وجناتٍ ، وبشرًا سويًّا من أروع صور الجمال الذي هو نفحة ربانية نورانية ؛ لأننا لو تأملنا أجمل الأجسام ، وأجمل القسمات ، وأجمل الأحداق ، فإننا لن نجدها في جوهرها إلا معاني وخطوطًا ودلالاتٍ تحققت حينما ارتسمت وتجسَّدت في المادة الطينية المنحطة ، فيأخذ الجمالُ وأشواقُه ومعانيه بالألباب ، ولو أمعنا النظر ودققنا التأمل في تلك الصور والمجسمات والأجسام والحدقات الجميلة ، لأدركنا أنها خطوطًا ومعانٍ ما كان لنا أن ندركها وأن نتمثلها لولا أنها تجسدت في المادة والطين الذي تبدو به حقيقته المهينة حينما تتحلل هذه الأجساد والأجسام وتذوب ، لتصبح طينًا وجيفًا كريهة من حمأٍ مسنونٍ ، وعندما تنمحي عنها خطوط

الجمال ، وتفارقها ، لتصبح قطعًا من طينٍ عفنٍ ، ونفاياتٍ وحفنًا من تراب .

فما أروع الطين حين يلتقي بالنور ويجسد معانيه في الخير والحق والجمال ، وما أروع النور وهو يتبدى ويتجسد من خلال المادة والطين ، فينتصر الحق ويسود ، ويتبدى الجمال ويتألق ، ويتجسد النور ويشعشع ، ويسمو بذلك ما بين جوانح الإنسان من الحيوان ، ويزكو ما يغلف روحه من الطين .

وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا

أما ما السر الأعظم والدلالة الأبعد لهذا اللقاء بين الروح والمادة ؟ وما الغاية من ذلك ؟ وما الدلالة الأسمى لما يدور بينهما في كيان الإنسان وفي إرادته من صراع ؟ وما الذي ينتج - على وجه الحقيقة - عن ذلك التمثل والتجسد الذي تكدح فيه الأرواح إلى بارئها وتُعَبِّدُ بهما - قدر طاقاتها - ذواتها وتنتصر وتهذب نزواتِها وشهواتِها الحيوانية الطينية ؟ ولاشكَّ أن ذلك كله - فيما يبدو لنا في حدود سقفنا المعرفي - هو من

أمور الغيب ، ومن أسرار الخلق التي لا يبلغ إدراكَها الإنسانُ ولا منطقُه في هذه الحياة الدنيا ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ [العنكبوت : ٢٠] ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء : ٨٥] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الدخان : ٣٨، ٣٩] ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [1] ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٦- ٥٨] ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٦، ١٧] ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ٣٢]

---

(١) العبادة هنا مشتقة من التعبيد ، وليس من الاستعباد ، فالمؤمن يعبِّدُ نفسَه لله الحقِّ ، وذلك مصدر إعزاز للإنسان المؤمن ، وليس مصدر مذلة ولا مهانة وضعة ، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨] .

﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق : ٢٢] .

ليست هذه التأملات في معاني الخلق وغاياته وغايات علاقاته - فيما أرى - عبثٌ من باب فلسفة الإلهيات التي تخوض بالظنون في عالم ما وراء المادة دون مرشد ولا دليل غير دليل استكبار العقل وعدم معرفة حدوده ، وهو ما عانت وما تزال تعاني حتى اليوم منه الأمةُ في بعض متاهاتها الكلامية ، وهو أيضًا ما عانت ومازال تعاني الإنسانية منه كذلك في بعض فلسفاتها الإلهية ، ولعل ذلك ما عناه الإمام أبوحامد الغزالي في « تهافت الفلاسفة » ، وما نلمسه في ضلال الضالين وإلحاد الملحدين ومكابرة الجاهلين .

فالتأمل المنضبط بإدراك حدود العقل ومنطق الإنسان هو في تصوري من باب جدية التدين ، ومن سُبُل ترسيخ الإيمان ، ولعل ذلك ما قصد إليه الإمام ابن رشد في (تهافت التهافت) ، من ضرورة سعي العقل بالتفكر والتأمل ، لترسيخ الإيمان ، وفهم الرسالة ، وتوسيع آفاق العلم والمعرفة وتعميقها .

وعلى كل حال فإن كتاب النور المنزل ، ومتواتر السنة المطهرة ، هو مصدر العلم اليقيني عن عالم الغيب ، وهما المرجعُ والقولُ الفصل ، ومصدر هذه التأملات التي غايتها والقصد منها الإسهام في هداية الإنسان المسلم وترشيد مساره وخطوه : ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] .

إنني أرجو أن تكون هذه الورقة قد وُفِّقَتْ إلى شيء من توضيح طبيعةِ الأمة المسلمة ، وطبيعةِ غاياتها ووجهتها وشرعتها ، وأهميةِ جهودها الإصلاحية ، وضرورةِ العمل على إسلاميةِ المعرفة ووحدةِ مصادرها في الوحي والعقل والكون ، واهتدائها دائمًا بثوابت شريعة النور ، التي هي حقيقة موضوعية في الوجود ، تقوم على أساس التوحيد ووحدة الإنسان ، وتجعل القوة للحق .

كما أرجو أن تكون قد سهَّلت – بأي قدر – على الإنسان عامة والإنسان المسلم خاصة مهمة فهم الغرب ، وفهم فكره

ووجهته وغاياته وسياساته وتصرفاته المعاصرة ، التي تنبني على شريعة الغاب الحيوانية القائمة في وجوهها وجملتها مع الآخر في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، وفي العالم الإسلامي بخاصة ، على أساس شريعة الغاب من التمايز والعنصرية والعرقية ، والتي تجعل الحق للقوة ، والانصياع لأهواء الطين ونزواته وشهواته ، وتجعل الحقيقة قضية ذاتية لا أصل لها في الحقيقة والوجود ، بل تقررها الأطماع والأهواء والنزوات والشهوات ، وتعتمد في بلوغ غاياتها ومصالحها تجاه الآخر ما أمكن على التظالم والعدوان ، والتي قد يخفف منها أحيانًا ما في أشواق الروح الإنسانية من فطرة معاني الحق والعدل والرحمة ، ولكن الشر كل الشر ، والبلاء كل البلاء حين يلتقي الشيطان والحيوان ، وتخمد كل آثار روح فطرة الإنسان ، والذي نشاهده صورة وحشية معاصرة منه في ممارسات الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني ، فيكون الشر والظلم والقسوة والتدمير في أبشع وأنذل صوره وهو مايقضي على كل معاني النور والروح في الخير والعدل والرحمة في حياة

الإنسان ، وفي ممارسات الأمم على اختلاف أشكالها وألوانها وقيمها ومبادئها .

وبعـد : فإن للأمة دورًا

إن الغاية من هذه الورقة في هذا الوقت الصعب هو محاولة تقديم دليل عمل ورؤية لمفكري الأمة ، الذين هم أصحاب الدور الرئيس في ترشيد مسيرة الأمة وريادتها ، ليعينهم إن صح من جانب الجوهر - الذي غاب في خضم التفصيلات والمعارك والمواجهات - على فهم معنى وجود الأمة ، والعمل على استعادة سلامة رؤيتها ، وطاقة عزمها ، وأن تعرف طريقها وقصد مسيرها ، فتأخذ أمرها في قوة وعزم ، شأنَ كلٍّ من يعرف طريقه وغايةَ قصدِه ، والمأمول أيضًا أن تعين الآخر من أتباع شريعة الغاب ، ولاسيما الغرب - على المدى البعيد - على فهم ذاته والرجوع عن غيه وضلاله ، فيضع - رحمةً بنفسه وبالإنسانية - حدًّا لعدوانه وتعدياته ، فيزيح بذلك عن كاهله وكاهل الإنسانية ما تعانيه اليوم من المظالم والمآسي

الناجمة عن سيادة شريعة الغاب ، لتسود شريعة النور ، وتسود قيم العدل والوئام والأمن والسلام بين جميع بني البشر .

وبالله التوفيق والهداية ، وهو نعم المولى ونعم النصير

الفهرست

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع
2003/5113
I.S.B.N **الترقيم الدولي**
977-342-095-7

المؤلف في سطور

د . عبد الحميد أحمد أبو سليمان

رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي

ورئيس مؤسسة تنمية الطفولة

- من أبناء مكة المكرمة ، فقد ولد بها عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م .
- تحصل في مكة المكرمة على تعليمه الابتدائي والثانوي ، وتخرج في مدرسة تحضير البعثات سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .
- حصل على بكالوريوس التجارة من قسم العلوم السياسية ، بجامعة القاهرة ، سنة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٩م .
- حصل على درجة الماجستير في العلوم السياسية من كلية التجارة ، بجامعة القاهرة ، سنة ١٣٨١هـ / ١٩٦٣م .
- حصل على الدكتوراه في العلاقات الدولية ، من جامعة بنسلفانيا ، سنة ١٣٩١هـ / ١٩٧٣م .

● عمل أمينًا لاجتماعات المجلس الأعلى للتخطيط ، ثم عضوًا في هيئة التدريس بكلية العلوم الإدارية (كلية التجارة سابقًا) في جامعة الملك سعود بالرياض (جامعة الرياض سابقًا) ورئيسًا لقسم العلوم السياسية فيها ١٣٨٣هـ - ١٤٠٦هـ - ١٩٦٤م - ١٩٨٦م .

● من مؤسسي اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا والاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية ، وجمعية علماء الاجتماعات المسلمين بالولايات المتحدة وكندا ، والندوة العالمية للشباب الإسلامي بالمملكة العربية السعودية ، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي بالولايات المتحدة الأمريكية .

● الأمين العام المؤسس للأمانة العامة للندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض ، الرئيس الأول للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، والمدير العام السابق للمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ورئيس المجلس الاستشاري لمدارس منارات الرياض حتى عام ١٩٧٤م ، والرئيس المؤسس لمؤسسة تنمية الطفل ، والمؤسس والرئيس السابق لجمعية علماء الاجتماعيات المسلمين

بالولايات المتحدة وكندا .

● مدير ومؤسس للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا ١٩٨٨م - ١٩٩٩م .

● له عدد من الكتب والأبحاث العلمية التي تهتم بالتنظير الإسلامي للإصلاح والتغيير في الأمة ، وتجديد الفكر الإسلامي .

● من مؤلفاته « نظريات الإسلام الاقتصادية : الفلسفة والوسائل المعاصرة » (١٩٦٠م) ، « النظريات الإسلامية للعلاقات الدولية : اتجاهات جديدة للفكر والمنهجية الإسلامية » (١٩٧٣م) ، « أزمة العقل المسلم » (١٩٨٦م) ، « قضية ضرب المرأة وسيلة لحل الخلافات الزوجية » (٢٠٠٢م) « الطفولة : البعد الغائب في مشروع إصلاح الأمة » (٢٠٠٣م) .



(من أجل تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم . .   السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته . .

نشكر لك اقتناءك كتابنا : « **الإنسان بين شريعتين رؤية قرآنية في معرفة الذات ومعرفة الآخر** » ورغبة منا في تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ ، وباعتبار أن رأيك مهمٌّ بالنسبة لنا ، فيسعدنا أن ترسل إلينا دائمًا بملاحظاتك ؛ لكي ندفع سويًّا مسيرتنا إلى الأمام ويعود النفع على القارئ والدار .

*** فهيًّا مارس دورك في توجيه دفة النشر باستيفائك للبيانات التالية :-**

الاسم كاملًا : .... **الوظيفة :** ....

المؤهل الدراسي : .... **السن :** .... **الدولة :** ....

المدينة : .... حي : .... شارع : .... ص.ب:............

هاتف : ☐☐☐☐☐☐☐ / ☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐ : e-mail

- من أين عرفت هذا الكتاب ؟

☐ أثناء زيارة المكتبة ☐ ترشيح من صديق ☐ مقرر ☐ إعلان ☐ معرض

....

- من أين اشتريت الكتاب ؟

اسم المكتبة أو المعرض : .... المدينة .... العنوان ....

....

- ما رأيك في أسلوب الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ ممتاز (لطفًا وضح لِمَ) ....

....

- ما رأيك في إخراج الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ متميز (لطفًا وضح لِمَ) ....

....

(من أجل تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ)

- ما رأيك في سعر الكتاب ؟

☐ رخيص ☐ معقول ☐ مرتفع (لطفًا اذكر سعر الشراء) ....

....

- هل صادفت أخطاء مطبعية أثناء قراءتك للكتاب ؟

☐ لا يوجد ☐ نادرًا ☐ يوجد أخطاء مطبعية

لطفًا حدد موضع الخطأ ....

....

عزيزي انطلاقًا من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة . . . فلا تتوانَ ودَوِّن ما يجول في خاطرك : -

....

....

....

....

....

....

دعوة : نحن نرحب بكل عمل جاد يخدم العربية وعلومها والتراث وما يتفرع منه ، والكتب المترجمة عن العربية للغات العالمية - الرئيسية منها خاصة - وكذلك كتب الأطفال

عزيزي القارئ أعد إلينا هذا الحوار المكتوب على العنوان التالي

ص.ب ١٦١ الغورية - القاهرة - جمهورية مصر العربية

لنراسلك ونزودك ببيان الجديد من إصداراتنا

e-mail : info @ dar-alsalam.com



هذا الكتـــاب

يستمد هذا الكتاب أهميته - على الرغم من صغر حجمه ، ولعل ذلك من محاسنه - من أنه تلتقي فيه وتمتزج المعارف الدينية والفلسفية والإنسانية الاجتماعية ، في محاولة استلهام الرؤية القرآنية للغوص في لبّ وجود الأمة ، وتصحيح مسارها ، وتجديد طاقتها . ويستلهم هذا الكتاب - بعمق فلسفي - الرؤية القرآنية الكونية في طبيعة الكون والإنسان والغاية من وجود الإنسان ومنهج الشرعة التي تهدي حياته بالحق والعدل والخير . والرؤية القرآنية الكونية هي القاعدة الأساس لفكر الإنسان المسلم ورؤيته الحياتية ، حتى يستطيع أن يحدد غاية وجوده ، ويعيد - في هذا العصر - بناء كيان أمته الذي تهدم ، وحتى يصحح مسيرة حضارته ، بفاعلية وتصميم ، وبأقصى الطاقة من القدرة والعزم . ومن خلال فهم الذات يقدم هذا الكتاب فهم الآخر الغربي ، وفهم طبيعته ومنطلقاته ، ويقدم دليل التعامل الحضاري الفعال معه ، مما يعين على تحرير الأمة من روح الوهن والانهزام والمحاكاة والتقليد الأعمى ، وتحريرها من الانبهار بقدرات الآخر الغربي المادية ، وجبروت قوته التكنولوجية . قراءة هذا الكت المثقف المسلم ضرورة حضارية إسلامية في هذه المرحلة التاري لأن وضوح الرؤية القرآنية الكونية هي البداية الصحيحة لتجد وإنجاح جهود التجديد والإصلاح الفعال ، وتحقيق القدرة والتعامل الحضاري الخيِّر مع الآخر .